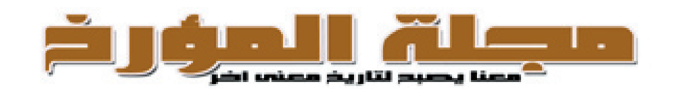

العدد الخامس والسادس- 2009
مجلة المؤرخ
معنا يصبح للتاريخ معنى اخر
مجلة الكترونية تاريخية دورية محكمة بالتاريخ المغربي و العربي
دراسات : " رسالة العدل" المؤمنية
تحقيق : وتائق عتمانية جديدة:
هل كان المغرب تابعاً لاسطنبول؟
نشر الطريقة الخلوتية كما انعكست في
زيارات مصطفى البكري الصديقي الدمشقي
الخلوتي الى بيت المقدس وسوريا في القرن
التامن عشر
ملتقيات : "مستقبل المتاحف
المغربية في أفق إحداث المؤسسة
الوطنية للمتاحف"



العدد الخامس والسادس ٢٠٠٩

مجلة إلكترونية تاريخية مهتمة بالتاريخ المغربي والعربي تصدر كل ثلاث أشهر



تصدر عن جمعية ليون الافريقي للتنمية والتقارب الثقافي - الدار البيضاء



الغلاف : أطلس دزاين

المشرف العام
محمد منوار
رئيسة التحرير
أزار غزلان
سكرتيرة التحرير
نوال ليلى
هيئة التحرير
الاستاذ : عماد البحراني
محمد العزابي - إدريس الملوكي
حنين محمد
التدقيق اللغوي
نادية الزكاني
تصميم وإخراج
أطلس دزاين للتصميم الالكتروني

المراسلات :

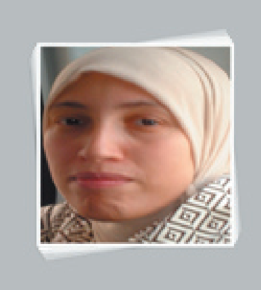
ترسل جميع المراسلات بإسم رئيس التحرير إلى :

http://magazin-histoire.blogspot.com

الموقع الرسمي لمجلة المؤرخ

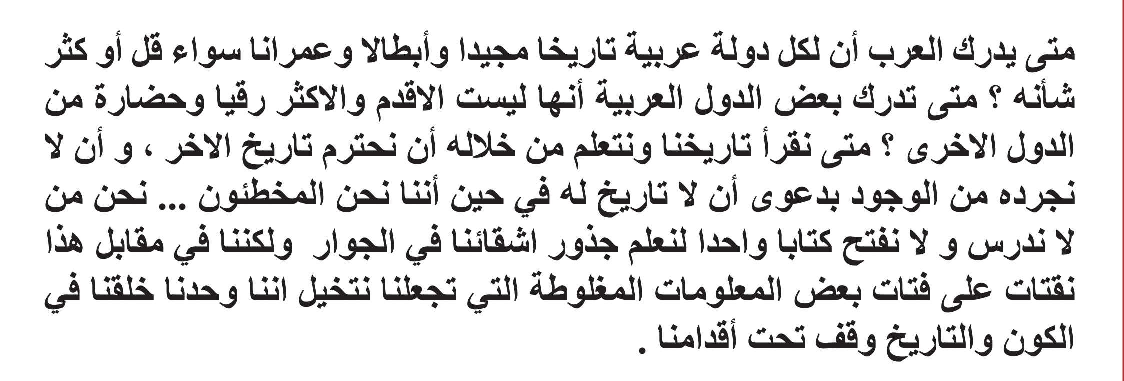
http://magazin-histoire.blogspot.com

ولنا كلمة



أزار غزلان

لعل المتتبعين في الوطن العربي أحزنهم ما وصل إليه الامر بين الدولتين الشقيقتين مصر والجزائر، ولعل المثقفين العرب أدلو بدلوهم في الموضوع وأسهبوا في التحليلات وكل ناقشها حسب اديولجيته وتوجهه ، بيد أن الدرس المستفاد من هذا الصراع سواء كان كرها بين الدول العربية أو تفريغا عن الاحاسيس والمشاكل والفقر والحرمان .....فإن جهل الدول العربية بتاريخ بعضها البعض هو الامر الذي وقفت عنده كثيرا .فجولة في المنتديات أو على الفايس بوك أو على القنوات الفضائية ، تجعلك تدرك فيما لا مجال لشك فيه أننا نجهل تاريخنا لحد مفزع ... بل إن التاريخ استخدم في احيان كثيرة استخداما خاطئا ، فبدل أن يكون مدعاة فخر إعتزاز سخرته وسائل الاعلام تسخيرا بشعا و صار وسيلة من وفضل ، في لغة شوفينية لم نرى لها مثيلا ابدا . بل ان البعض جرد كل الاشقاء من المحيط الى الخليج من التاريخ ليحتفظ به لنفسه فحسب .



متى يدرك العرب أن لكل دولة عربية تاريخا مجيدا وأبطالا وعمرانا سواء قل أو كثر شأنه ؟ متى تدرك بعض الدول العربية أنها ليست الاقدم والاكثر رقيا وحضارة من الدول الاخرى ؟ متى نقرأ تاريخنا ونتعلم من خلاله أن نحترم تاريخ الاخر ، و أن لا نجرده من الوجود بدعوى أن لا تاريخ له في حين أننا نحن المخطئون ... نحن من لا ندرس و لا نفتح كتابا واحدا لنعلم جذور اشقائنا في الجوار ولكننا في مقابل هذا نقتات على فتات بعض المعلومات المغلوطة التي تجعلنا نتخيل اننا وحدنا خلقنا في الكون والتاريخ وقف تحت أقدامنا .

أعلم جيدا أن من طبعنا كعرب أن نفتخر بتاريخ دولنا حد الجنون لدرجة نعتبر أن ما عندنا من تاريخ ومن عمارة ومن رجالات لا يوجد في مكان آخر في الكون ، لكن كل ما أدعوا له أن نقرأ تاريخ بعضنا البعض لندرك عظمة الاخر ونحترمه ونقدره والا فإن ما حصل بين مصر والجزائر بسبب كرة جلدية يمكن أن يتكرر اليوم .. وغدا .. وبعد غد .



دراسة بعنوان / الدولة الطاهرية (207-259هـ)

بقلم / الاستاذ عماد البحراني

1- أصل الطاهريون :

ينتسب الطاهريون الى رزيق بن ماهان مولى طلحة بن عبيدالله الخزاعي والي سجستان من قبل مسلم بن زياد. (1)

اذن فهم أي الطاهريون من الموالي الفرس الذين أسلموا في العصر الاموي وبرزوا في خدمة الدولة الأموية ، وعندما قامت الدعوة العباسية في خراسان كان بنو رزيق من العناصر الايرانية التي سارعت تستجيب للدعوة الجديدة .

وقد اتصل مصعب بن رزيق بسليمان بن كثير الداعية العباسي فلما نجحت الدعوة وانتصر بني العباس على بني أمية في معركة الزاب سنة 132هـ وقامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الاموية كافأ العباسيون هؤلاء الموالي على الدور الذي بذلوه في خراسان لنصر الدعوة العباسية فولوا مصعبا بلدة بوشنج من اعمال مرو سنة 159 هـ ، كما تولى هرات وخلفه ابنه الحسين عملا بالسياسة العباسية التي كانت تجنح الى استقرار الادارة في هذه النواحي . (2)

- طاهر بن الحسين " مؤسس الدولة :

هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ولد في مدينة بوشنج عام 159هـ ، ونشأ فيها والتحق بخدمة العباسيين شانه شأن أبيه وجده وذاع صيته في خراسان وعرف عنه حسن الادارة والبراعة في القيادة ، حيث كان طاهر في بداية أمره رئيسا لشرطة بغداد وجندها قبل أن يبدأ الصراع الدموي بين كل من الامين والمأمون ، وقد ولاه المأمون على بوشنج عندما كان المأمون واليا على مقاطعات المشرق العباسي .(3).

3- دور طاهر بن الحسين في تسلم المأمون الخلافة:

حينما بدا الصراع بين الامين والمامون قاد طاهر جيش

المأمون ضد قوات الامين فقام بدوره في قهر الامين طمعا في المكاسب التي سوف يحصل عليها من وراء هذا العمل ، فاشتبك مع علي بن عيسى قائد الامين وقتله سنة 195 هـ . (4) وتقدم طاهر الى بغداد فانتقلت الحرب من الهجوم على مداخل خراسان الى الدفاع عن مداخل العراق وفي سبيل هذا الدفاع بذل الامين اخر جهد له فجند 20 ألفا من العرب ومثلهم من الابناء فهزمت قواته ثم حاصرت قوات طاهر بغداد حتى دخلتها وقتل الامين سنة 198هـ .(5)

وقد كافأه المأمون بعد ان استقربالخلافة بان أسند اليه ولاية الجزيرة ولم يشأ المأمون ان يوليه خراسان حتى لايستقل بها اذا لم يغب عن ذهن المأمون مدى مايتمتع به طاهر من نفوذ في خراسان.(6)

على أن طاهر لم يقنع بولاية الجزيرة اذ كان يطمع في اسناد ولاية خراسان اليه ومازال يطالب المأمون بذلك حتى أسند اليه سنة 250 هـ جميع البلاد شرقي بغداد.(7)

فوطد نفوذه في خراسان واتخذ من نيسابور حاضرة لدولته ثم اعتزم طاهر بن الحسين الاستقلال نهائيا بدولته الحديثة عن الدولة العباسية ففي سنة 207هـ صعد طاهر المنبر وخطب الجمعة وأسقط اسم المامون من الخلافة ولما بلغ الخبر المأمون غضب غضبا شديدا فكان ذلك مما قاده الى حتفه .

-4 خلفاء طاهر بن الحسين في الحكم :

بعد وفاة طاهر بن الحسين سنة 207هـ آمر المأمون بتولية طلحة بن طاهر بن الحسين ولاية أبيه فعلى الرغم من استياء المأمون من الطاهريين الا أنه كان يخشى ان انتزع الامر من أيديهم أن تحدث اضطرابات في خراسان التي قوي فيها نفوذهم .(8)

وقد خلف عبدالله بن طاهر أخاه طلحة في الحكم سنة 213هـ وقد اتسع ملكه حتى شمل الري وكرمان علاوة على خراسان نفسها وكذلك الاراضي التي تقع شرقيها حتى الحدود الهندية وتمتد شمالا حتى حدود دولة الخليفة.(9)

ولم تهتز مكانة الطاهريين في خراسان أو في بغداد في عهد المعتصم ،بل زادت رسوخا، وصمدت للفتن والمؤامرات، فقد طمع الأفشين في ولاية خراسان، فأراد ان يوقع بين المعتصم وبين الطاهريين ،فاتصل بأحد دهاقين طبرستان واسمه مازيار بن قارن بن وندا هرمز وكان خارجا عن طاعة بني طاهر ويحمل خراجه الى المعتصم مباشرة ، ويذكر المؤرخون أن الأفشين كتب الى مازيار يحرضه على بني طاهر فأعلن مازيار الثورة ومنع الخراج وتحصن بجبال طبرستان ،ولم تجد حيل الأفشين فقد وقف المعتصم الى جانب الطاهريين يشد أزرهم ،ففي الوقت الذي بعث فيه أمير خراسان عمه الحسن بن الحسين بن مصعب لقتال مازيار ،فاذا بالمعتصم يبعث من قبله جيشا بقيادة طاهري آخر يدعى محمد بن ابراهيم بن مصعب ومعه الحسن بن قارن الطبري.

فأراد ان يوقع بين المعتصم وبين الطاهريين ،فاتصل بأحد دهاقين طبرستان واسمه مازيار بن قارن بن وندا هرمز وكان خارجا عن طاعة بني طاهر ويحمل خراجه الى المعتصم مباشرة ، ويذكر المؤرخون أن الأفشين كتب الى مازيار يحرضه على بني طاهر فأعلن مازيار الثورة ومنع الخراج وتحصن بجبال طبرستان ،ولم تجد حيل الأفشين فقد وقف المعتصم الى جانب الطاهريين يشد أزرهم ،ففي الوقت الذي بعث فيه أمير خراسان عمه الحسن بن الحسين بن مصعب لقتال مازيار ،فاذا بالمعتصم يبعث من قبله جيشا بقيادة طاهري آخر يدعى محمد بن ابراهيم بن مصعب ومعه الحسن بن قارن الطبري.

-5 سقوط الدولة الطاهريه :

كان محمد بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية، وقد تولى الخلافة بآمر من الخليفة الواثق ،لكنه لم يكن على شاكلة أسلافه ،فقد كان أميرا ماجنا يميل الى اللهو والعبث ،فضعف أمره كحاكم وعجز عن اخضاع الثورات التي قامت ضده، ولما ازدادت الاضطرابات في الدولة الطاهرية استنجد أهل خراسان بالأمير

يعقوب بن الليث الصفاري لاعادة الامن والطمأنينة الا بلادهم ،فوجد الامير الصفاري الفرصة مواتية لتوسيع رقعة دولته على حساب الدولة الطاهرية المتداعية ،فزحف بجيشه الى نيسابور سنة 259هـ ،وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته. (12) وبذلك زالت الدولة الطاهرية من الوجود وانتقلت من مسرح التاريخ الى كتب التاريخ .

خاتمة :

تناولنا في بحثنا هذا الدولة الطاهرية ابتداء من أسباب وعوامل قيامها مرورا بأبرز الاحداث التي وقعت أثناء فترة تواجدها وأبرز الحكام الذين تولوا حكمها ، وعلاقة هذه الدولة بمركز الخلافة العباسية في بغداد وانتهاءا بضعف الدولة وسقوطها وأسباب ذلك .

وقد اتضح لنا من خلال دراستنا لهذه الدولة بأنها قد استفادت من الصراع الذي حدث بين الأخوين الامين والمأمون حول الخلافة حيث أن مساندة الطاهريين للمأمون _ والذي تمكن بفضل مساندتهم من قهر اخيه الامين وتولي منصب الخلافة _ جعلتهم يصبحون من اصحاب النفوذ والسلطة في الدولة العباسية انذاك ، فسيطروا على خراسان ووطدوا نفوذهم فيها مما مكنهم من الاستقلال عن الدولة العباسية فيما بعد بقيادة طاهر بن الحسين مؤسس الدولة والذي كان من كبار قادة المأمون.

وقدرأينا أن هذه الدولة وان كانت قد تمتعت بحكم ذاتي وبتسيير شؤونها الداخلية بعيدا عن سلطةالخلافة العباسية الا أنها ظلت قريبة منها فقد ظل الطاهريون يحتفظون بنفوذهم في خراسان ولا ينصرفون عن أمور بغداد ونجدة الخلافة اذا احتاجت اليهم كما رأينا ذلك في عهد الخليفة المستعين حيث ووضح موقفهم هذا في ثورة الزيديين بالكوفة وطبرستان والحرب التي دارت بين المستعين والمعتز فقد لعب الطاهريون دورا بارزا في خلع المستعين وبيعة المعتز أي أنهم كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في بغداد وكان لهم دور واضح في مجريات الأحداث التي وقعت خلال تلك الفترة .

المصادر والمراجع :

(1) : د. حسن أحمد محمود - الاسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي- دار الفكر العربي- القاهرة -1968م - ص60.

(2) : نفس المصدر – ص60 .

(3) : د. حسن أحمد محمود – مرجع سابق- ص61

(4) : د.عصام عبدالرؤوف الفقي – الدول الاسلامية المستقلة في الشرق- ص7.

(5) : د. حسن أحمد محمود – مرجع سابق- ص61

(6) : الطبري"محمد بن جرير " – تاريخ الامم والملوك- ج8– القاهرة – 1326هـ - ص581.

(7) : الطبري - ج8- ص581

(8) : د.عصام عبدالرؤوف الفقي –- ص7.

(9) : نفس المصدر- ص8 .

(10) : الخضري – تاريخ الدولة العباسية– القاهرة – 1916م - ص 238، 239.

(11) : د. حسن أحمد محمود - ص63

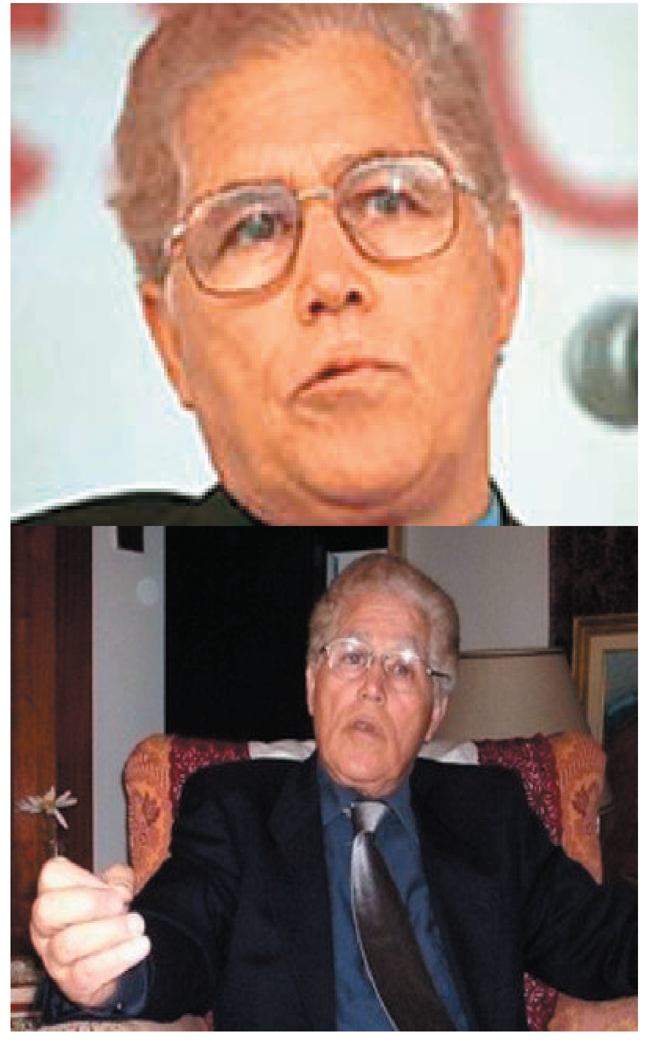
(12) : الطبري- ج9- ص507 .



POUR LES SOUCIEUX DU DETAIL...

عبد الله العروي المؤرخ والفيلسوف





ولد المؤرخ و الروائي والكاتب المغربي **عبد الله العروي** سنة 1933 بمدينة أزمور. تلقى تعليمه في العاصمة المغربية الرباط و تابع تعليمه العالي بفرنسا في جامعة سربون وفي معهد الدراسات السياسية بالعاصمة الفرنسية باريس. حصل سنة 1956 على شهادة العلوم السياسية وعلى شهادة الدراسات العليا في التاريخ سنة 1958 ثم على شهادة التبريز في الإسلاميات عام 1963. وفي سنة 1976 قدم أطروحة بعنوان "الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية: 1830-1912" وذلك لنيل دكتوراه الدولة من السوربون1.

بدأ عبد الله العروي النشر سنة 1964 تحت اسم مستعار (عبد الله الرافضي) احتوى نتاجه الإبداعي على دراسات في النقد الإيديولوجي وفي تاريخ الأفكار والأنظمة و أيضا العديد من النصوص الروائية. نشر أعماله في مجموعة من المجلات: أقلام (الرباط)، مواقف (بيروت)، دراسات عربية (بيروت)، Les temps modernes، ديوجين (باريس).



أعماله

أولا: دراسات فلسفية

§ الإيديولوجيا العربية المعاصرة، تعريب محمد عيتاني، وتقديم مكسيم رودنسون، بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1970.
§ العرب والفكر التاريخي, بيروت, دار الحقيقة، 1973. (4ط)
§ أزمة المثقفين العرب، 1974.
§ أصول الوطنية المغربية، 1977.
§ مفهوم الإيديولوجيا، بيروت، دار الفارابي، 1980.
§ مفهوم الحرية, بيروت, دار الفارابي، 1981. (4ط)
§ مفهوم الدولة, بيروت, دار الفارابي، 1981. (4ط)
§ ثقافتنا في منظور التاريخ, بيروت, دار التنوير, 1983. (3ط)
§ مجمل تاريخ المغرب , الرباط, مطبعة المعرف الجديدة, 1984, 174 ص, (3ط) .
§ ابن خلدون وماكيافيللي، دار الساقي، 1990.
§ مقاربات تاريخية، 1992.
§ مفهوم التاريخ, جزءان, الدار البيضاء, المركز الثقافي العربي, 1992.
§ مفهوم العقل، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1996.
§ بالفرنسية (Islamisme Modernisme Liberalisme)، المركز الثقافي العربي، 1997.
§ بالفرنسية (Le Maroc et Hassan II – un témoignage)، "المغرب والحسن الثاني"، المركز الثقافي العربي – المطبعة الجامعية، كندا، 2005.
§ عوائق التحديث، محاضرة ألقيت في 2005/12/15، نشرت مع تعليقات، منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2008.

ثانيا: أعمال أدبية

§ الغربة: رواية, الدار البيضاء, دار النشر المغربية, 1971. (3 طبعات)
§ اليتيم: رواية, الدار البيضاء, دار النشر المغربية, 1978. (3ط)
§ الفريق: رواية, الدار البيضاء, المركز الثقافي العربي, 1986.
§ غيلة: رواية, الدار البيضاء, المركز الثقافي العربي، 1998.

ثالثا: سيرة ذاتية

§ أوراق: سيرة ذاتية, الدار البيضاء, المركز الثقافي العربي, 1989.
§ خواطر الصباح - يوميات، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2001.

دبي صورة لأحد الموانئ قديما
صورة يرجع تاريخها لسنة 1948



صورة للسوق في دبي سنة 1948




مجلة المؤرخ
معنا يصبح للتاريخ معنى آخر
أول مجلة مغربية
إلكترونية تاريخية
ALLDAY.RU

رسالة العدل" المؤمنية "

صبان عبد اللطيف
استاذ باحث

دراسة وتحليل

هذه الرسالة التي نود, من خلال هذا العرض السريع دراستها, ليست بالغريبة على الباحثين في تاريخ المغرب الوسيط عامة و تاريخ الموحدين على وجه الخصوص. فقد نشرت عدة مرات اخرها ضمن اطروحة احمد عزاوي " مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية " (1). لكن و للاسف و بالرغم من اهميتها فلم تحض باية دراسة تذكر اذ يكتفي الباحثون و الناشرون لها بوضعها في ملحقاتهم و في بعض الاحيان القليلة التعليق عليها كما فعل الباحث المذكور اعلاه. ولقد اثارت هذه الرسالة انتباهي لاول مرة عند دراستي " لبنية الدولة الموحدية " كمشروع دكتوراه, و ظهر لي عندئذ انها تمثل نقلة نوعية ما بين فترة المهدي بن تومرت و بداية تمكين حكم الخليفة عبد المؤمن و ستعتبر فعلا وكما سنرى " دستورا " للدولة الموحدية يقتدى به حتى نهايتها.

اطلق المؤرخون عدة اسماء على هذه الرسالة البرنامج, فابن القطان الذي اوردها برمتها يلقبها مرة " برسالة العدل " و مرة " بالرسالة الجامعة لانواع الاوامر " (2). اما ابن صاحب الصلاة فيسميها احيانا " رسالة العدل و النهي عن المنكر " و احيانا " الرسالة ذات الوصايا " (3). في حين ابن عذاري يلخص محتواها قائلا " جمعت هذه الرسالة قوانين العدل و الفضل, و السياسة و الرياسة " (4). هذا و نشيران هناك رسالة اخرى سابقة من انشاء المهدي ابن تومرت تعرف " بالرسالة المنظمة " كان يتم ارسالها الى القبائل الموحدية و خصوصا تلك الحديثة العهد بالدعوة. و قد الحقها مثلا الخليفة عبد المؤمن مع رسالة اخرى الى قبيلة جزولة يدعوها الى الانضمام الى الصف الموحدي (5). وبالرغم من الاختلاف الكبير و البين ما بين الرسالتين (الرسالة المنظمة و رسالة العدل), فالواضح ان عبد المؤمن كان يرغب في وضع لمساته الاولى لتغيير هيكل الادارة الموحدية. وهو في نفس الوقت بداية لبسط نفوده و سلطته كخليفة.

اما كاتبها فقد اجمع المؤرخون على انه ابوجعفر ابن عطية الكاتب المرابطي الصقيل الذي انتقل الى خدمة الموحدين بعيد فتح مراكش سنة 541هـ و بالضبط عند القضاء على ثورة الهادي الماسي. و نشير هنا ان عددا من الباحثين يرون ان عبد المؤمن قبل اتصال ابن عطية به كان يبحث له عن كاتب و قد تعرف بمحض الصدفة على ابن عطية الذي سيبقى في خدمته الى ان تتم نكبته. هذا وقد دابت الارسطغرافية التقليدية على نعت ابن عطية بانه اول كاتب ووزير في الدولة المؤمنية, لكن هذا الطرح تخالفه القرائن التى بين ايدينا والرسائل التي وصلتنا و بالخصوص " خطاب الخليفة عبد المؤمن بفتح مراكش " و الذي نشره مؤخرا الاستاد الجليل بنشريفة (6). ان كاتب هذا الخطاب ما زال مجهولا, لكنه و الحق يقال يظهر من خلال تفحصنا لرسالته انه لا يقل مكانة و لا اسلوبا من ابن عطية. فلماذا تخلى عنه عبد المؤمن ؟ ولماذا اذن اغفلته المصادر الوسيطية ؟ لا تسعنا الاجابة عن هذه الاسئلة الان و تبقى معلقة الى العثورعلى مصادر اخرى ربما تساعدنا على ازالة هذا الغموض.

يحدد كل من ابن صاحب الصلاة وابن القطان وكذلك ابن عذاري مع اختلاف بسيط, تاريخ كتابة الرسالة في 16 ربيع الاول 543 هـ(7). الا ان ما يثير الانتباه هو كون صاحب " نظم الجمان " بالرغم من اسلوبه الحولي في الكتابة و اطلاعه على حيثيات و تاريخ الرسالة فهو يقحمها ضمن حوادث سنة 524هـ في فقرة عنونها " امره [عبد المؤمن] رضي الله عنه بالمعروف و نهيه عن المنكرو عدله, و نهجه مناهج الحق و فضله " (8). ان طرح ابن القطان هذا هو بمثابة اعلان باولوية وتاكيد على احقية عبد المؤمن بالخلافة, لكن دفاع المؤلف جاء متاخرا . فلا ننسى ان ابن القطان كان يؤلف كتابه لارضاء رغبة المرتضى الخليفة ما قبل الاخير في سلسلة سلاطين الدولة الموحدية. و هذا الطرح في حد ذاته و في هذه الفترة بالذات لم يعد له ما يبرره, اذ لم يعد هناك من يسال عن احقية ال عبد المؤمن بالخلافة نظرا لكون الدولة كانت في مخاضها الاخير بل و ايامها جد معدودة. ويحق لنا و الحالة هذه ان نتساءل عن ظروف وا سباب كتابة هذه الرسالة ؟

تلزم المصادرالصمت التام ازاء دوافع كتابة هذه الرسالة, فابن القطان كما ذكرنا ينوه فيها فقط بعدل عبد المؤمن واخلاقه. ويؤكد ان الخليفة طلب من ابن عطية انشاءها بتينمل عندما كان يؤدي واجب الزيارة لقبر المهدي ابن تومرت. ولا يضيف ابن صاحب الصلاة في السفر الباقي من كتابه " المن بالامامة " اي شئ لهذا السرد. و ازاء هذا السكوت المطبق تظهر رواية ابن عذاري لتلقي الضوء و تبرز بعض الجوانب الخفية لهذه الرسالة.

من الوهلة الاولى يفصح صاحب " البيان المغرب " عن السبب الرئيسي و الوحيد, حسب رايه, لكتابة هذه الرسالة. فتحت عنوان " ذكر سبب كتب هذه الرسالة الى البلدان " يورد المؤلف تحركات اخوي المهدي, عبد العزيز وعيسى, المشينة باشبيلية و عبثهم الجائر بالمنطقة. ويضيف ابن عذاري نقلا عن ابن صاحب الصلاة (من احد الاسفار الضائعة) ما يلي " ... و كانوا قوم سوء, ففسدت الديار في اقرب مدة, و ساءت حال اهل اشبيلية بهم, و عبد المؤمن لا يعلم ذلك حتى رفع له به, فامر بالكتب لبلاد الاندلس كلها التى كانت تحت طاعة الموحدين بتمشية العدل و رفع المظالم و الجور " (9). واذا كان ابن صاحب الصلاة قد اختصر الامور كثيرا, فابن عذاري, وبالرغم من بعض الخروم في النص المنشور, يرسم لنا صورة قاتمة لاعمال اخوي المهدي بالاندلس ادت الى اثارت القلاقل و كثرت الفتن و التى لم تهدا الا برحيلهما الى مراكش و تعويضهما بوال جديد هو ابو يعقوب يوسف بن سليمان. بل ان المؤلف لا يخفي تبرمه من هذه الاعمال و يتهم اصحابها " بالمجرمين ". وفي هذا الصدد اعتقد ان الفقرات الثلاث الاولى من الرسالة (من وقد اتصل بنا الى اثيم او افاك) تهم اخوي المهدي بالحديث و ان لم تذكرهم علانية.

هكذا اذن يظهر بوضوح المغزى الخفي الذي لا تريد الرواية الرسمية الافصاح عنه. فاعمال اهل امغار التخريبية هي التي دفعت بالخليفة عبد المؤمن الى الاسراع بكتابة هذه الرسالة و ارسالها الى كافة الاقاليم خصوصا الاندلسية لتهدئة الاوضاع. و في هذه الحالة فقط يمكن فهم خلفيات هذه الزيارة المفاجئة للخليفة لقبر المهدي ابن تومرت. فابن القطان تمشيا مع السياسة الرسمية يرى ان المقصود " من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي رضي الله تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم, و شفاء شوق اليه لزم و لازم, و النظر في بناء مسجده المكرم ", ومن الحضرة العلية تينملل ثم ارسال هذه الرسالة. لكن اذا قبلنا هذا الطرح الاخير فنعتقد ان هذه الزيارة المباغتة لعبد المؤمن لمهد الدولة الموحدية لم يكن الغرض منها ما يفصح عنه ويدلي به ابن القطان, و انما كانت لنبض حس المنطقة والقبائل التي من المحتمل ان تساند اهل امغار.

قبل التعرض لموضوع او بالاحرى مواضيع هذه الرسالة, نشير الى امرين يبرزان اهميتها : اولا طول

الخطاب اذ يمتد على ما يقرب من ستة عشرة صفحة من النص المطبوع, وحتى رسائل الفتح التي عادة ما تكون طويلة لم تصل احداهن الى هذا الحد. لكن الا يمكن اعتبارمناسبة كتابة هذا الخطاب فتحا لعبد المؤمن وبداية لتقهقر نفود بني امغار ؟

ثانيا و هي الاهم, فنحن امام اول رسالة موحدية رسمية تحمل توقيع الخليفة الممثل في العلامة(10). و لم تفصح الرسالة عن نوعية هذه العلامة و لا عن موضعها و مكانها داخلها, لكن نكاد نجزم ان هذه العلامة هي " والحمد لله وحده" و التي اعتبرت مند هذا التاريخ و الحدث رمزا للسيادة الموحدية. ونعلم انه حفاظا على هذه السياسة, ستبقى الخطابات توقع بها الى نهاية الدولة.

بعد الافتتاحية, تبدا الرسالة و بلهجة شديدة في تقريع من تعبرعنهم بانهم " لا يتقون الله ولا يخشونه " و الذين هم حسب راينا اخوة المهدي و ابن عمهما يصلاتن الهرغي. و لا تفيدنا الرسالة في معرفة ماهية الامور و الاعمال التخريبية التي قام بها اهل امغار, لكن نستطيع ان نقرا ان هؤلاء كانوا " يتسلطون باهوائهم على الاموال و الابشار. و ينتشرون بالقتل باعراض الناس اقبح الانتشار, يستحلون حرمات المسلمين من غير محلها, ويسارعون الى نقض عقد الشرع و حلها, و يضيفون الشدة و الغلظة بطرا و رياءا في غير محلها, و يبتدعون من وجوه المظالم ما تضعف شواهق الجبال عن حملها, و يستنبطون من فواحش الاثار ما تذهب نفوس المؤمنين لاجلها و يتسببون الى قتل المسلمين فضلا عن استباحة اموالهم و اعراضهم بتلبيسات ينشئونها, و مزورات يضيفونها اليهم و ينسبونها, وينظرون الى اهتضام حق الله تعالى فيهم باباطيل يعدونها ظلما و يحسبونها, و يسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة, و يعيثون فيهم بكل غاصبة للقلوب منتزعة " (11). ولربما اطلع صاحب " البيان المغرب " على هذه الرسالة, فعباراته بالرغم من ايجازها, تحمل نفس المعنى اذ يقول : " ...من استطالة ايديهما (عبد العزيز و عيسى) على اهلها (اشبيلية) و على الاندلسيين المجاورين لها, و طهر من اخوي المهدي باشبيلية مذهب في قتل الناس و اباحة الدماء, و اخد الاموال و اتصال الاعتداء ". هذا و بالرغم من توعد الخليفة الشديد بعقاب المخالفين و النكاية بالعابثين, فلم تسجل المصادر اية عقوبة في حق اهل امغار.

بعد ذلك تنتقل الرسالة الى وضع الخطوط العريضة لدستور للدولة الجديدة مبني على " اصلاح اداري ". فيبدا عبد المؤمن بالغاء الضرائب الغير شرعية من " مغارم و مكوس و قبالات و تحجير للمراسي " التي تفشت في ارجاء الامبراطورية, بل ان انواع منها قد ظهرت بالعاصمة مراكش مما حدى بالخليفة الى القول :" و اذا كان الافتيات في شئ من هذا و نحن على اقتراب, فكيف الامر فيمن هو في حكم بعد عنا و اغتراب".

والحق يقال ان موضوع الضرائب الموحدية مازال يعتريه غموض كبير وليس هنا المجال للحديث عنه (12), لكن بالمقابل نشير ان تحذيرات الخليفة في هذا الصدد قد وجدت اذنا صاغية وثم تطبيقها. فصاحب " نزهة المشتاق " المعروف بحقده و شدة انتقاده للموحدين الدين ينعثهم انتقاصا لهم بالمصامدة, يؤكد ان القبالات اختفت في عهد عبد المؤمن. هذا ولم يرد ان الادارة الموحدية قد طلبت من رعاياها الى غاية فتح تونس (1159/554) ضرائب غيرالزكاة و الاعشار.

وارتباطا بموضوع الضرائب, لم يفت الخليفة ان يتوعد بعض عمال و اعوان المخزن الذين يتجرؤون على تغريم التجار و المسافرين بدون حق ويحملونهم ما لا يطيقونه. واذا كان الخليفة قد انكرهذه الاعمال و الاجراءات التعسفية فانه بالمقابل قد ادلنا على بعض المهام الفعلية للمخزن الموحدي المتمثلة في مراقبة المسافرين و التجار وتحركات القبائل.

لعل من ابرز ما جاءت به هذه الرسالة ويعتبر حدثا ذو اهمية قصوى اذا ما قورن بالظرفية التي كتب فيها الخطاب هو تقييدها لعقوبة القتل و الاعدام وعدم الاقدام عليه الا بعد استشارة الخليفة و الاطلاع على حيثيات الجريمة (13). ومن زاوية اخرى فهذا الاجراء هو من جهة بمثابة تقليص لنفود حكام الجهات و ولاة العمالات الموحدية و من جهة اخرى

هوتقوية لسلطة ومكانة عبد المؤمن داخل الجهاز الحاكم. هكذا اذن و خلافا لما هو معتقد و سائد فالخليفة الموحدي الاول لم ينتظر سنوات 550/549, عند تعيين ابنه محمد كولي للعهد وتنصيب السادة الاخريين عمالا للاقاليم, لكي يظهر مشروعه السياسي. ان نوايا عبد المؤمن تتجلى واضحة في ثنايا هذا الخطاب المحرر في1148/543 سنتين فقط بعد سقوط العاصمة مراكش و القضاء على الدولة المرابطية.

من بين القضايا الادارية التي تتعرض لها ايضا الرسالة نجد معضلة البريد الموحدي. و يحق لنا ان نتساءل عن هذا الاهتمام المفاجئ للخليفة بهذا الموضوع. هل فعلا وصل البريد الموحدي الى درجة متردية اوجبت تدخل عبد المؤمن بنفسه لوضع حد لمشاكله ؟

اجمالا ان معلوماتنا عن هذا الموضوع تضل جد هزيلة ولاتسمح برصد صورة واضحة له. فالخطاب يشير فقط باصابع التهمة الى من ينعتهم " بالرقاصين" الحاملين للكتب و الرسائل الرسمية والذين يتطاولون على الناس و الرعية و يكلفونهم ما هو فوق طاقتهم بالرغم من ان المخزن الموحدي كان يؤمن لهؤلاء ما يحتاجونه اثناء تنقلاتهم من زاد و مؤونة. وباستثناء اشارة عابرة الى ضرورة اختيارالرقاصين الثقات وتحديد المسافات يبقى البريد المجال الاكثر عشوائية و الاقل تنظيما داخل الادارة الموحدية ولا ادل على ذلك من عدم جداوته في القضاء التورات العديدة التي عرفها التاريخ الموحدي.

الى جانب هذه الاعمال الادارية, تهتم هذه الرسالة الدستور ببعض الخدمات الاجتماعية و نخص بالذكر ظاهرتا الرق (استرقاق النساء) وتداول الخمور(شراب الرب). فالخطاب يدلي ببعض المعلومات عن اقامة الاسواق وادارتها بواسطة امناء تقات. ويظهر ان تجارة النخاسة خصوصا سوق الاماء كانت رائجة و تعاطاها كل من هب و دب مما حدى بالخليفة الى محاولة تقتينها و ذلك بوضع رخص لتجارتها وبعد الحصول على اذن حاكم الجهة و الشيوخ. كما ابدى الخليفة رغبته في عدم بيع الغنائم الاسرى (خصوصا النساء) الا بعد استشارته و اخد موافقته.

اما بشان الخمورفما زلنا نتذكر حملة المهدي ابن تومرت الشعواء ضدها و كسره لقنانها, لكنه يبدو انه لم يستطع ان يقلع جدورها الشئ الذي ربما دفع بخليفته عبد المؤمن الى اعادة الكرة. ومن بين الاشربة المثيرة للشكوك نجد شراب الرب الذي يرى صاحب " الاستبصار " ان المصامدة كثيري التعاطي له نظرا لشدة برودة جبال درن (14). والملاحظ ان الرسالة لم تات فيه بجواب شاف ومقنع اذ تقول : " فما حل منه اباحوه, وما كان غير ذلك قطعوه اصلا و فرعا و اراقوه ". هذه الوضعية الغير واضحة كانت لها بعض النتائج الوخيمة منها ان ابن الخليفة محمد و الذي كان وليا للعهد تمت تنحيته لصالح اخيه يوسف بسبب تعاطيه المفرط لشراب الرب مما ادى الى تقيئه امام الملا وفي موكب الخليفة (15). كما نتذكرالتهمة التي وجهها الوزير عبد السلام الكومي لمجموعة من ابناء الخليفة في كونهم يتعاطون الخمور و التي لم تكن سوى شراب الرب هذا. على كل بقي هذا الشراب متداولا الى فترة المنصورالذي سيحرم و يمنع تداوله نهائيا (16).

تنتهي هذه الرسالة بدعوة من الخليفة الى استنساخها و ارسالها الى كافة الولايات الموحدية, ويشير ابن عذاري انها لما وصلت الى اشبيلية " بحثوا على اهل الاشغال, المتصرفين في الاعمال, واجدوهم بالاقرار و الاعتراف, و بالغوا في البحث عليهم و الانصاف, فقتلوا منهم رجلين ظهر عليهما الفسوق و الظلم, و الفساد و الاثم و الجرم, فوجد احدهما غير مختون و الاخراسترابت عليه الظنون, وكانا يشتغلان بقبض الفطرة, فظهر منهما الغش للخلافة و الامارة "

في ختام هذا العرض الموجزنشيران هذه الرسالة اصبحت دستورا موحديا يحتذى به ويحاول الخلفاء السير على منواله. فلقد اعاد الخليفة الثاني صياغتها في رمضان 1166/561 مقرونة بالعلامة الموحدية, كما ان الخليفتان المستنصر و المامون صارا على نهجها. و في هذا الصدد لا يفوتنا ان نذكر ان ابن عذاري و ابن الخطيب يربطان ما بين ارسال هذا الخطاب والمجاعة التي عرفتها البلاد زمن هذان الخليفتان.

الهوامش

1. احمد عزاوي : "مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية " بحث لنيل ديبلوم الدراسات العليا, الرباط, 1986, الرسالة 6, ص.14-21.
2. ابن القطان : " نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان ", تحقيق علي المكي, بيروت, دار الغرب الاسلامي, 1990, ص. 187.
3. ابن صاحب الصلاة : " المن بالامامة, تاريخ بلاد المغرب و الاندلس في عهد الموحدين ", تحقيق عبد الهادي التازي, بيروت, دار الغرب الاسلامي, 1987, ص. 230.
4. ابن عذاري : " البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب " (قسم الموحدين), تحقيق محمد الكتاني و اخرون, الدار البيضاء, دار التقافة, 1985, ص. 37.
5. عمار الطالبي : " رسالتان موحديتان ضمن كتاب اعز ما يطلب ", اشغال المؤتمر الاول لتاريخ و حضارة المغرب, الجزائر, 1987, ص. 9-21.
6. محمد بنشريفة : " خطاب الخليفة عبد المؤمن بفتح مراكش ", الاكادمية, 7, 1990, ص. 107-109.
7. يرى ابن عذاري ان تاريخ كتابة الرسالة هو الخامس عشر من ربيع الاول و ذلك من العاصمة مراكش.
8. نظم الجمان, ص. 187.
9. البيان المغرب, ص. 38.
10. لا يتضمن الخطاب الذي نشره الاستاد بنشريفة و السابق تاريخيا على رسالة العدل هذه اية اشارة لعلامة موحدية ما. اما اقوال ابن خلدون التي ترى ان رسم العلامة كان من نسج ابن تومرت فلا اساس له من الصحة. عن العلامة الموحدية راجع بحثنا بالفرنسية.
11. نظم الجمان, ص. 191.
12. حليمة فرحات, " الضرائب بالمغرب ما بين القرنين 11 و13 ", في مجموع بالفرنسية, قرون الايمان, ص. 127-142.
13. من العجيب ان المهدي ابن تومرت ابان عملية التمييز المشهورة كان قد ارسل خطابا الى اتباعه يامرهم بتحري الصدق و عدم الاقدام على انزال عقوبة الاعدام و القتل الا بعد استشارته و استشارة شيوخ المصامدة. (راجع ماهر حمادة, " الوثائق السياسية و الادارية في الاندلس و شمالي افريقية ", ص. 338).
14. مجهول, " كتاب الاستبصار ", ص. 211.
15. المن بالامامة, ص. 150.
16. ليفي بروفنصال, " رسائل موحدية ", رقم 28, ص. 164. احمد عزاوي, " رسائل موحدية جديدة ", رقم 6, ص. 19.

البيبليوغرافيا

1. ابن عذاري : " البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب " (قسم الموحدين), تحقيق محمد الكتاني و اخرون, الدار البيضاء, دار التقافة, 1985.

2. ابن القطان : " نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان ", تحقيق علي المكي, بيروت, دار الغرب الاسلامي, 1990.

3. ابن صاحب الصلاة : " المن بالامامة, تاريخ بلاد المغرب و الاندلس في عهد الموحدين ", تحقيق عبد الهادي التازي, بيروت, دار الغرب الاسلامي, 1987.

4. مجهول : " كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ", نشر و تعليق سعد زغلول, بغداد, 1986.

5. احمد عزاوي : "مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية " بحث لنيل ديبلوم الدراسات العليا, الرباط, 1986.

6. . حليمة فرحات, " الضرائب بالمغرب ما بين القرنين 11 و13 ", في مجموع بالفرنسية, قرون الايمان, 1994.

7. محمد بنشريفة : " خطاب الخليفة عبد المؤمن بفتح مراكش ", الاكادمية, 7, 1990.

8. عمار الطالبي : " رسالتان موحديتان ضمن كتاب اعز ما يطلب ", اشغال المؤتمر الاول لتاريخ و حضارة المغرب, الجزائر, 1987.

9. ماهر حمادة, " الوثائق السياسية و الادارية في الاندلس و شمالي افريقية ", بيروت, مؤسسة الرسالة, 1986.

تحقيق



وثائق عثمانية جديدة: هل كان المغرب تابعاً لاسطنبول؟

محمد م. الارناؤوط
أستاذ التاريخ الحديث في جامعة آل البيت - الاردن

تحت رعاية مولوية سامية انعقدت في الرباط خلال 12-14 نونبر الجاري الندوة الدولية "المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العصر العثماني" التي استغرق الإعداد لها أكثر من سنتين بالتعاون ما بين المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ومركز الأبحاث في التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول ارسيكا وبمشاركة واسعة لباحثين عرب وأتراك وأوربيين.

وكان للحضور المميز لمركز «ارسيكا»، الذي يرأسه د. خالد ارن، أثره في إعطاء زخم غير مسبوق للقاء الذي تحول في بعض اللحظات الى توتر أكاديمي حول علاقة المغرب الأقصى بالدولة العثمانية.

ففي الكلمات الافتتاحية للندوة تناول د. ارن العلاقات العثمانية المغربية عبر التاريخ وتمنى "إعادة النظر فيها وتقييمها من جديد في ضوء ما يكشف من الوثائق العثمانية» مع تأكيده أن "النظرة الموضوعية" في ضوء الوثائق العثمانية "ستساهم في توطيد العلاقات".

وفي المقابل كان الباحث المغربي المعروف عبدالرحمن المودن يعبر عن وجهة النظر الأخرى بالقول إن المغرب «وان لم يكن جزءاً من الفضاء العثماني» الا انه تأثر بالمجال العثماني المجاور له.

وبعد هذه الكلمات التي ألمحت الى موقفين مختلفين تم افتتاح المعرض الذي أعده مركز «ارسيكا» والذي تضمن وثائق عثمانية مختلفة تستعرض علاقات الدولة العثمانية مع المغرب الأقصى. ولفتت الأنظار الوثيقة الأولى التي كانت مؤشراً الى أهم ما دار في الندوة من نقاش حول هذا الموضوع الذي أثير لأول مرة في المغرب على هذا المستوى الاكاديمي: علاقة المغرب بالدولة العثمانية. وتضمنت الوثيقة رسالة مؤرخة في غشت 1567 من السلطان العثماني سليم الثاني الى الامير السعدي عبدالمؤمن تفيد بعدم موافقة السلطان على تعيينه «حاكماً على فاس» (كما كانت الوثائق المغربية تسمي المغرب الأقصى) بدلاً من أخيه الحاكم عبدالله الغالب وذلك لأنه تم تعيينه من قبل والده السلطان سليمان القانوني. ومن الملاحظ هنا أن الرسالة كتبت بالعربية وختمت بما يوحي بهذه العلاقة التي كانت موجودة آنذاك: «هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني وأمرنا المنيف السامي الخاقاني ما زال نافذاً ومطاعاً في المشارق والمغارب أرسلناه الى العلماء الفضلاء والصلحاء

وجميع الأمراء والكبراء وأهالي الإسلام بإقليم فاس وديار مراكش وبلاد سوس وسائر توابع تلك الأرض المباركة».

وقد سيطر هذا الموضوع على الجلسة الثانية للندوة «مغاربة وعثمانيون» سواء من خلال الورقتين الأوليين للباحثة المغربية نفيسة الذهبي وللباحث في مركز الأبحاث فاضل بيات، أم من خلال المناقشات القوية التي دارت بعدها وحتى في الجلسات اللاحقة. ومع أن ورقة نفيسة الذهبي اعتمدت أساساً على الوثائق العثمانية التي نشرها بيات في كتابه «الدولة العثمانية في المجال العربي»، التي توحي بوجود تبعية مغربية للدولة العثمانية، إلّا أنها حاولت أن تخفف من الوجود العثماني في المغرب. فالتدخل العثماني الذي حصل في المغرب لم يصل في رأيها الى حد إلحاق المغرب بالدولة العثمانية، كما أن الحكام السعديين الجدد للمغرب وصلوا الى الحكم كمجاهدين ولذلك كان من الطبيعي أن يستنجدوا حين الحاجة بقوة إسلامية كبرى مثل الدولة العثمانية.

أما فاضل بيات الذي جاء الى الندوة حاملاً وثائق عثمانية جديدة فقد ذكر أن ما معه من وثائق يدحض الرأي الشائع الذي يقول «إن المغرب هو البلد الوحيد الذي بقي خارج الحكم العثماني».

ويوضح بيات هنا من أن الخلاف بين الاخوة السعديين عبدالله (الحاكم) وعبدالمؤمن وعبدالملك هو الذي قاد الى التدخل العثماني في المغرب. فقد لجأ الاخوان عبدالمؤمن وعبدالملك الى اسطنبول وطلبا من السلطان سليمان القانوني دعمهما مقابل إطلاق يد الدولة العثمانية في المغرب الا أن السلطان رفض ذلك ودعا الى المصالحة بينهما. ومع علم الحاكم عبدالله بذلك وقتل أخيه عبدالمؤمن انزعجت اسطنبول عندما تحالف الحاكم الجديد محمد المتوكل بالتحالف مع اسبانيا، وهو مادفع اسطبول الى الطلب من والي الجزائر العثماني رمضان باشا بتجهيز حملة عسكرية الى فاس لدعم الامير عبدالملك المطالب بالحكم، وهو ما تم بالفعل في 1575. وبالاستناد الى مالديه من وثائق وصل فاضل بيات الى القول انه ابتداء من حكم عبدالله الغالب كانت «الدولة العثمانية تتصرف وكأن المغرب تابع لها»، إذ بيّن أن الدولة العثمانية كانت تتعامل مع السعديين كما تتعامل مع الحفصيين في تونس والأشراف في مكة.

وكان من الطبيعي أن «تستفز» ورقة فاضل بيات الباحثين المغاربة سواء من المختصين أم غير المختصين بالتاريخ العثماني. فقد وصفها الباحث المغربي حسن أميلي بأنها «نظرة عوراء» و «قراءة للتاريخ من مصدر واحد» داعياً الى الأخذ بعين الاعتبار أيضاً المصادر المعاصرة الأخرى من اسبانية وبرتغالية وانكليزية. وقد اعترف الاستاذ في كلية الآداب مصطفى الشابي بعفوية بأنه لم يسمع حتى الآن ولم يعرف «أن المغرب كان تابعاً للدولة العثمانية»، رابطاً ذلك بالصراع بين القوى الكبرى آنذاك الذي كان يدفع المغرب أحياناً الى التقارب والتحالف مع الدولة العثمانية "من دون أن يصبح تابعاً للدولة العثمانية".

وقد تدخل لتهدئة النقاش مدير المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب محمد قبلي الذي تمنى على المشاركين في الندوة عدم معالجة الأمور بتشنج وعدم إسقاط الماضي على الحاضر، مركزاً على تحديد مفهوم التبعية مابين شقه الدنيوي وشقه الديني. وفي هذا السياق تدخل الباحث المغربي جعفر السلمي مميزاً بين الهدايا التي كان يرسلها حكام المغرب للسلطان العثماني وبين الاتاوات، رافضاً وجود ارتباط مغربي بالدولة العثمانية حيث إنه «لم يكن يوجد بالمغرب لا راية عثمانية ولا عملة عثمانية».

ومع أن هذه الندوة الدولية حفلت بأوراق قيمة كثيرة تجاوزت الثلاثين وتناولت الاقتصاد والعمران والمجتمع والعلاقة مع الآخر في حوض المتوسط، الا أن هذا الموضوع الذي أثير حول علاقة الدولة العثمانية بالمغرب بقي يفرض نفسه في المناقشات والكواليس حتى الجلسة الختامية حيث تناولها من جديد بشكل هادئ المؤرخ المغربي عبدالرحيم بنحادة في ورقته «قضية الجزائر في العلاقات المغربية العثمانية».

وكان من الواضح هنا أن مثل هذه الندوة الدولية كانت تحتاج الى ورشة تحضيرية حول العلاقة بين الدولة العثمانية والمغرب بالاستناد الى الوثائق العثمانية كي لا تسيطر «المفاجأة» على بعض المشاركين. أما وقد طرح هذا الموضوع على هذا المستوى فإن نشر أوراق الندوة وما فيها من وثائق عثمانية يفرض إعداد ندوة خاصة حول هذا الموضوع الذي لم يأخذ بعد حقه من البحث.

موقع هسبريس : السبت 21 نونبر 2009



هل خضعت الدولة المغربية لسيطرة الإمبراطورية العثمانية فعلا؟

أثار مؤرخ عراقي، خلال مؤتمر دولي عقد بالرباط في الأسبوع الماضي، قضية قديمة تتعلق بالوجود العثماني في المغرب، الذي استقر بالجزائر في القرن السادس عشر في إطار مواجهة الحروب الصليبية التي كانت الكنيسة تشنها على البلدان الإسلامية، ولم يتمكن من تجاوز الحدود نحو المغرب، وفق ما تقوله الكتابات التاريخية. ودحض المؤرخ العراقي فاضل بيات، خلال مؤتمر حول البحر الأبيض المتوسط في العهد العثماني نظمه المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ومركز الأبحاث في التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول، الأطروحة التي تقول إن العثمانيين لم يحكموا المغرب في تاريخهم، وإنهم توقفوا عند الحدود الجزائرية المغربية. وأكد بيات، من خلال وثائق تاريخية، أن الأمر على العكس من ذلك، وأن المغرب خضع لحكم الإمبراطورية العثمانية، وقال إن الخلاف قام بين الأشقاء الثلاثة السعديين، عبد الله الحاكم وعبد المومن وعبد الملك هو الذي مهد الطريق أمام التدخل العثماني في المغرب. فقد لجأ الأخوان عبد المومن وعبد الملك إلى اسطنبول وطلبا من السلطان سليمان القانوني دعمهما، مقابل السماح لبلاده بالدخول إلى المغرب، لكن السلطان العثماني رفض ذلك ودعاهما إلى المصالحة، ولما علم الملك عبد الله الحاكم بذلك قام بقتل أخيه عبد المؤمن، فانزعجت اسطنبول من ذلك، خاصة بعد تحالف الحاكم الجديد محمد المتوكل مع إسبانيا، الأمر الذي دفع اسطنبول إلى أن تطلب من والي الجزائر العثماني رمضان باشا تجهيز حملة عسكرية إلى مدينة فاس لدعم الأمير عبد الملك المطالب بالحكم، وهو ما تم بالفعل في عام 1575. وبالاستناد إلى ما لديه من وثائق وصل فاضل بيات إلى القول إنه ابتداء من حكم عبد الله الغالب كانت «الدولة العثمانية تتصرف وكأن المغرب تابع لها»، إذ بين أن الدولة العثمانية كانت تتعامل مع السعديين كما تتعامل مع الحفصيين في تونس والأشراف في مكة، التابعين لها. وقد أثارت ورقة المؤرخ العراقي جدلا خلال المؤتمر، إذ رد عليه البعض متهما ما تقدم به من أدلة بأنها «نظرة عوراء»، أو قراءة للتاريخ من مصدر واحد، دون الإلمام بالمصادر الأخرى الانجليزية والبرتغالية والإسبانية، فيما قال مؤرخون آخرون إنهم لم يسمعوا من قبل بموضوع خضوع المغرب لسيطرة الإمبراطورية العثمانية، مؤكدين بأن ما هو معروف هو أن المغرب، وفي إطار الصراع مع القوى الدولية العظمى آنذاك، كان يحاول التحالف والتقارب مع العثمانيين من دون أن يكون خاضعا لسلطتهم. وقد استدعى ذلك الجدل تدخل المؤرخ المغربي محمد القبلي، مدير المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، لتهدئة الأجواء، وطلب من المشاركين عدم التشنج في معالجة مثل

تلك الأمور، وتدخل الباحث المغربي جعفر السلمي مميزا بين الهدايا التي كان يرسلها حكام المغرب للسلطان العثماني، وبين الإتاوات، رافضا وجود ارتباط مغربي بالدولة العثمانية حيث إنه «لم يكن يوجد بالمغرب لا راية عثمانية ولا عملة عثمانية».
ولتوضيح هذا الموضوع، اتصلت «المساء» بالمؤرخ المغربي عبد الكريم الفيلالي، الذي فند أطروحة المؤرخ العراقي، نافيا أن تكون هناك أدلة علمية حقيقية تثبت أن العثمانيين حكموا المغرب بالفعل. وقال الفيلالي إن ما تقدم به المؤرخ العراقي غير صحيح، لأن العثمانيين كانوا يرون في المغاربة سليلي الأشراف وكان المغاربة يرون بأنهم أحق بالخلافة، وهو ما جعلهم يطلقون على الحاكم تسمية السلطان، التي كان العثمانيون يطلقونها أيضا على حكامهم، الأمر الذي جعل العثمانيين يتحاشون الدخول إلى المغرب. ويضيف الفيلالي أن هناك عنصرا آخر يتعلق بقوة الأسطول البحري للمغاربة، وتفوقهم في مجال التسلح والحروب، بحيث إنهم في تلك الفترة كانوا يملكون أقوى أسطول حربي في البحر الأبيض المتوسط، كما أن صلاح الدين الأيوبي سبق أن لجأ إليهم لمساعدته في رد الصليبيين. وأوضح المؤرخ المغربي أن العثمانيين توقفوا في مكان يسمى «جبوجت مولاي إسماعيل» على الحدود الجزائرية المغربية ولم يتجاوزوها. وبخصوص ما قدمه المؤرخ العراقي حول لجوء عبد المؤمن وعبد المالك إلى اسطنبول لطلب المساعدة والدعم قال الفيلالي إن الإثنين سافرا بالفعل إلى تركيا عن طريق الجزائر، التي أقاما فيها مدة قصيرة كلاجئين إثر الخلاف الذي نشب مع شقيقهما، وإن السلطان العثماني قدم مساعدة لهما حيث أمدهما بفرقة عسكرية ظلت رهن إشارة الحاكم الجديد للمغرب، بعد مقتل عبد الملك في معركة وادي المخازن.
أما المؤرخ عبد الهادي التازي، صاحب «التاريخ الديبلوماسي للمغرب»، فقد رد بدوره أطروحة المؤرخ العراقي، وقال إن العثمانيين كانوا دائما يتطلعون إلى أن يجدوا لهم منفذا على المحيط الأطلسي من الجزائر، وهو الحلم الذي لم يساعدهم المغرب في تحقيقه، إذ ظل متشبثا بسيادته ووحدة ترابه. وأكد التازي أنه بالرجوع إلى الصفحات التي كتبت عن المغرب في جميع الموسوعات العالمية نجد العبارة التي تقول بأن الإمبراطورية العثمانية بسطت نفوذها على جميع الإيالات الإفريقية، مثل مصر وتونس والجزائر وليبيا باستثناء المغرب. وأرجع التازي ما أسماه بالاستثناء المغربي إلى عنصرين أساسيين: الأول يخص القوة التي كانت الدولة المغربية تتمتع بها طيلة مراحل التاريخ، والثاني يتعلق بشيء أهم يشكل مقومات أية دولة مستقلة، وهو العملة النقدية، إذ أن المغرب ظل منذ ما قبل الإسلام إلى ما بعده محافظا على عملته الوطنية التي تحمل أسماء الملوك الذين حكموا البلاد، بل وحتى الشعارات التي كانت الدولة تكتبها على وجه عملاتها النقدية. وقال التازي إن العثمانيين لم يمكثوا في المغرب، وتحديدا في مدينة فاس، سوى أربعة أيام فقط أو أقل، قبل أن يخرجوا منها يجرون وراءهم ذيول الخيبة والهزيمة، مضيفا أن الاطلاع على الوثائق المتعلقة بالحبوس يؤكد بأن العثمانيين دفعوا إلى أحد عملائهم في المغرب تعويضا نقديا من أموال جامع القرويين.

تابع اعضاء وأطر جمعية ليون الافريقي للتنمية والتقارب الثقافي بقلق بالغ خبر المرض الذي ألم بالاستاذ الفاضل السيد الحسين رحمون وندعو الله ان يمن عليكم بالصحة والشفاء العاجل للعودة الى ممارسة مهامكم التدريسية التي اخذتم على عاتقكم مسؤولية اداءها لسنوات طويلة .

نشر الطريقة الخلوتية كما انعكست في زيارات مصطفى البكري الصديقي الدمشقي الخلوتي إلى بيت المقدس وسوريا في القرن الثامن عشر

د. غالب عنابسة.

سنتناول في هذه الدراسة مسألة نشر الطريقة الخلوتية في كل من بيت المقدس وسوريا في القرن الثامن عشر، كما انعكس هذا الجانب في زيارات البكري الصديقي الدمشقي، في الشام بالمفهوم العام (بيت المقدس وسوريا).
لقد اعتمدنا بصورة ملحوظة في دراستنا هذه على مخطوطات نادرة للمؤلف نفسه، كنا قد حصلنا عليها من مختلف المكتبات نخص بالذكر مكتبة الدولة في المدينة المنورة في السعودية، وكذلك جامعة برينستون، وجامعة استانبول. إن هدفنا الأساسي من هذه الدراسة الوقوف على الجهد الذي قام به البكري الصديقي لنشر الطريقة بدءا في سوريا ووصولا إلى بيت المقدس والأماكن المجاورة لها، علما بأن الطريقة نشرت أيضا في كل من مصر والحجاز وأماكن أخرى في القرن المذكور أعلاه.

1. ترجمة حياة الشيخ مصطفى البكري الصديقي

هو مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر الصديقي، البكري، الدمشقي، الحنفي، الخلوتي، القادري الشهير بالقطب البكري (قطب الدين). صوفي شيخ الطريقة الخلوتية، يرجع نسبه إلى ابي بكر الصديق كما يلي ذكره في مخطوطة "الخمرة المحسية في الرحلة القدسية":

"ابو المعارف، قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محيي الدين، بن عبد القادر بن بدر الدين محمد نزيل دمشق بن ناصر الدين، محمد شهاب الدين بن ناصر الدين بن بهاء الدين عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين أبي الروح عيسى بن داود بن محمد بن نوح ابن الشيخ طلحة سلطان مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بن السيد الإمام أبي محمد عبد الله ابن السيد الإمام المجتهد الصحابي أبي الفضل عبد الرحمن بن الإمام الأعظم والخليفة الأكرم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه بن عثمان أبي قحافة بن عمرو وابن عامر بن سعد بن كعب بن قيم بن مرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1]

تشير الباحثة ليندا شيلشر أن آل البكري أسرة لها فروعها في الحجاز ومصر واستانبول ودمشق.[2] وقد توطدت مكانتهم في القرن السابع عشر بفضل احمد بن كمال الدين البكري (ت. 1695م) الذي بلغ مرتبة عالية في القضاء وأصبح قاضيا في دمشق. وهذه إشارة إلى أن العثمانيين أصبحوا يدخلون بعض العلماء العرب إلى المناصب الدينية المرموقة في القرن السابع عشر المذكور أعلاه. وتذكر كتب التراجم أن خليل بن اسعد البكري (ت. 1759م) قد تولى الافتاء في دمشق وقاد ثورة ضد الوالي عثمان باشا أبو طوق (سنة 1723م) وانتهت بتولية إسماعيل باشا العظم واليا على دمشق (في عام 1725م)[3] وكان قبل ذلك بقليل قد راح يبرز مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي بوصفه واحدا من اكبر المشايخ والمفكرين في النصف الأول من القرن الثامن عشر، نخص بالذكر في مجال نشر الطريقة الخلوتية.

لقد عزا البرت حوراني (A. H.Hourani)في عرضه للاتجاهات الصوفية في القرن الثامن عشر، بروز الطريقة السمانية في الحجاز التي مهدت لبروز كل من الحركة التيجانية في شمال إفريقيا والحركة المهدية في السودان، إلى تأثير الشيخ مصطفى البكري الصديقي.[4]

وحول نشأته فمن المعروف أن الشيخ البكري قد ولد في دمشق في شهر ذي القعدة عام (1099هـ/ 1688م) وتوفي بالقاهرة في ثاني عشر ربيع الثاني عام (1162هـ/ 1749م)[5]

حيث دفن بتربة المجاورين، وهي احدى خمس ترب كبيرة المعروفة بالقرافة الكبرى.[6]
ويذكر يوسف النبهاني (ت. 1932م)في كتابه "جامع كرامات الأولياء" بخصوص وفاته نقلا عن تلميذه القطب (الأستاذ) الحفني الذي سيرد ذكره:
"ثم حج مولانا السيد الصديقي عام احدى وستين وعاد من الحجاز الى القاهرة فمرض عقب دخوله مدة شهر، فحان مولد السيد البدوي[7] فأراد الشيخ استاذنا الحفني أن يتخلف عن الذهاب إليه لأجل السيد، فاشار اليه بعدم التخلف، فتوجه استأذنا إلى المولد الشريف، فتوفي السيد الصديقي وهو في المولد ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني عام (1162هـ) ودفن بالقرافة الكبرى خارج مدينة القاهرة[8] وقبره ثم مشهور ثم بزيارته تضاعف الأجور، وقد عمل له أستاذي في شهر شعبان من هذا العام مولدا عظيما شدت اليه الرحال".[9]
لقد نشأ الشيخ مصطفى البكري يتيما، حيث توفي والده كمال الدين الذي تقدم ذكره اعلاه، وكان عمره ستة أشهر، فكفله ورعاه ابن عمه احمد بن كمال الدين بن عبد القادر الصديقي، وبقي عنده في داره، قرب البيمارستان النوري.[10]

2. البكري الصديقي في سوريا

يشير الباحث رالف ايلجر أن الشيخ البكري الصديقي طلب العلم منذ البداية في دمشق، ودرس على مشاهير العلماء، نذكر على سبيل المثال الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي (ت. 1719م) ومراد الازبكي (ت. 1720م) واحمد بن عبد الكريم الغزي (ت. 1731م)[11] وفي مصر ما ورد لدى المرادي (ت. 1791م) في "سلك الدرر"...وأجاز له الشيخ محمد بن محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت (ت. 1727م). لكن لا نعلم بالضبط فيما إذا تلقى العلم عنه في دمشق أم في دمياط مصر، لأننا وجدنا من جهة يذكر المرادي مدينة دمشق، ومن جهة أخرى يذكر مدينة دمياط لدى زيارته مصر ورد لديه:" ... ومن هناك سار إلى دمياط وأقام هناك في جامع البحر واخذ بها عن علامتها الشمس محمد البديري الشهير بابن الميت وقرا عليه الكتب الستة (أي مصنفات الحديث المشهورة رواية وصحة، وهي الصحيحان للشيخين البخاري ومسلم، والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) والمسلسل بالأولية".[12]
ولازم الشيخ مصطفى البكري الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (ت. 1731م)[13]وهو من مشاهير العلماء ورجال الصوفية في القرن الثامن عشر، وقرأ عليه مدة في دمشق، حيث اخذ عنه تعاليم الصوفية لديه وفق تعاليم ابن عربي (ت. 1240م) التي وردت في اهم مؤلفاته (مثل الفتوحات المكية) ويذكر المرادي انه كان يمدحه كثيرا، وقد اخذ عنه تعاليم بعض الحركات الصوفية نخص بالذكر الطريقة القادرية والنقشبندية.[14] يذكر النبهاني في هذا السياق ما ورد من قول للبكري الصديقي في كتابه "السيوف الحداد في اعناق اهل الزندقة والالحاد":"وذكر انه اجازه في المنام واليقظة بكتبه ومؤلفاته التي زادت على مائتين، وبالطريقة القادرية والنقشبندية".[15] وقد ورد لدى النبهاني:" انه اخذ طريق النقشبندية من طريقين: طريق ظاهر من محمد باسعيد الهندي وطريق باطن تلقاه من روحانية ابي يزيد البسطامي (ت. 875م) او عن غيره من كبار طريق النقشبندية. قال سيدي مصطفى البكري : "فتعلق خاطري في هذا الطريق الثاني. فرأيت بعد مدة أني في مكان بين جماعة اعرف غالبهم وكلهم من الصالحين، لكني لم اعرف الجميع وإنما عرفت البعض، ثم تفرقوا فالتفت عن يساري وإذا برجل نائم قيل لي أو وقع في سري انه أبو يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه، فقلت اذا لا اذهب حتى آخذ عنه طريق النقشبندية".[16] وكما نعلم فان الطريقة النقشبندية تعتبر أكثر الطرق الصوفية الأقرب إلى تعاليم اهل السنة.
لكن نقطة التحول في حياته انه اخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي الخلوتي (ت. 1121هـ/1709م)[17] في دمشق، الذي علّمه الاسماء، ثم أذن له فيما بعد بالمبايعة ليخلفه، فبايعه الشيخ مصطفى البكري على الطريقة الخلوتية، وكانت وفاته كما يشير المرادي بدمشق ودفن بتربة مرج الدحداح[18] ثم بايعه طلاب الشيخ خليفة له للطريقة المذكورة.
نذكر في هذا السياق ان الشيخ البكري سكن ايوان المدرسة الباذرائية[19] سنة (1707م) ابتغاء الانزواء للعمل في تأليف الأوراد وهي بمثابة أدعية وابتهالات دينية إلهية لدى أهل الصوفية بشكل عام، وبشكل خاص لدى أتباع الطريقة الخلوتية، نضيف ايضا ما يرتبه المريد الصوفي على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الاذكار (حلقات الذكر) والعبادات.
حول المبايعة المذكورة اعلاه ورد لدى المرادي انه اثناء مكوثة في المدرسة المذكورة" ونزل في حجرة بها يقصد الانفراد والاشتغال بالأذكار والأوراد، وأذن له شيخه المرقوم بالمبايعة والتخليف سنة عشرين أي عام (1120هـ/ 1708م) اذنا عاما فبايع في حياته وكانت تلك أزهر أوقاته، وسمعه مرة يقول الشيخ الجنيد لم يظفر طول عمره إلا بصاحب ونصف فقال له وكم ظفرتم انتم بمن يوصف بالتمام؟ فقال له أنت إن شاء الله، ثم إن شيخه المرقوم دعاه داعي الحق فلبى، ثم إن تلامذته توجهوا الى صاحب الترجمة واجتمعوا عليه وجددوا أخذ البيعة عنه فشاع خبره وذاع أمره وكثر جمع جماعته إلى سنة اثنين وعشرين".[20]
ويبدو أن الجبرتي اخطأ عندما قال انه نشأ في بيت المقدس.[21] وليس لدينا دليل يثبت ما ورد لدى الجبرتي رغم انه يعتبر

مؤرخا، ومن المفروض جدلا ان يلتزم بالدقة.

لقد ذكرنا سابقا أن الشيخ البكري الصديقي قد أخذ الطريقة الخلوتية إجازة من الشيخ عبد اللطيف الحلبي، لكن من المهم ان نعلم أيضا كيف انتقلت هذه الطريقة الى هذا الشيخ وما هي الظروف التي ساعدت على ذلك؟ حول تاريخ الخلوتية في الدولة العثمانية فهناك دراسات عديدة حول هذا الموضوع، كما اشار الى ذلك نذكر منها Kissling, Martin, [22] ويبدو لنا أن السلطنة العثمانية في فترات زمنية معينة شجعت وجود مثل هذه الطرق ليس لأسباب دينية أو روحانية فحسب وإنما لأسباب سياسية، نعني تأييد رجال الصوفية للدولة وكسبهم لمواجهة أعدائهم، نخص بالذكر سنوات حكم بايزيد الثاني (1481-1512م) وكذلك فترة سليمان القانوني (1520- 1566م) وحفيده مراد الثالث (1874- 1895م).[23] وهذا الأمر يتشابه نسبيا مع فترة المماليك في مصر الذين قربوا رجال الصوفية لنفس الهدف أيضا. لكن بالمقابل فان في فترة سليم الأول أي أوائل القرن السادس عشر (1512م- 1520م) كانت فترة جمود لنشر الخلوتية. ومع مطلع القرن السابع عشر وخاصة في أيام حكم السلطان احمد الأول (1603- 1617م) وبعض سلاطين آل عثمان، نجد الخلاف بين تيار محافظ من العلماء المسلمين ورجال الخلوتية، وكذلك لا نغفل العلماء السنيين الذين عارضوا ممارساتهم وطقوسهم الدينية من وجهة النظر السنية، وكأن الأمر يعتبر خروجا عن الإسلام السني.

من جهة اخرى فان السلاطين العثمانيين ساندوا الطرق الصوفية، والكثير من العلماء الذين انتموا الى طرق مختلفة نخص بالذكر الطريقة الخلوتيّة، في النصف الأول من القرن السابع عشر، لكن نستثني التيار القريب من الوهابية، مثل تيار قاضي زاده، الذي عارض ممارسات رجال الصوفية على اختلاف مذاهبهم، وما عدا ذلك حظيت الطرق الصوفية بتشجيع السلاطين العثمانيين.

الباحث F. D. Jongيشير في مادة "خلوتية" في دائرة المعارف الاسلامية، ان الخلوتية هي فرع من الابهاريه الزاهدية، وفق راي كمال الدين محمد الحريري (ت. 1882م) في مخطوط "تبيان وسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق" ويشير أن أول من استخدم مصطلح "خلوتية" هو عمر الخلوتي، في حين ان الشيخ البكري الصديقي يذكر أن الأول كان شيخ المذكور وهو محمد بن نور الدين الخلوتي الباليسي (ت.1267م) هو أول من اطلق اسم الخلوتية على هذه الطريقة.

أما محمد زاهد الكوثري (ت.1371هـ/ 1952م) فيذكر أن عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي المعروف بابي النجيب السهروردي (ت.1168م)، الذي دفن في رباط بناه في خربة على نهر دجلة، هو الذي تفرعت عنه العديد من الطرق الصوفية مثل المولوية والكبروية والخلوتية والجلوتية وغيرها، ثم انتقلت إلى قطب الدين الابهري (ت. 1194م) وعنه اخذ الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني (ت.1255م)، ومنه تلقى الشيخ محمد بن نور الخلوتي (ت. 1267)، ومن سلالة الشيخ محمد بن نور تلقى الطريقة الشيخ عمر الخلوتي (ت.1329م) ومن سلالته انتقلت الى يحيى الشرواني (ت.1464م)، والشيخ محمد بهاء الدين الارزنجاني (ت. 1474م)، والشيخ جمال الخلوتي المعروف بشلبي خليفة (ت.1494م).[24]

نذكر بالنسبة لنشر الطريقة الخلوتية في سوريا، بان الشيخ ادريس احد تلاميذ شلبي خليفة المذكور اعلاه، هو اول من نشر الخلوتية في سوريا في القرن الخامس عشر ميلاديا، حيث أرسل من قبل رجال الخلوتية في استانبول لنشرها في سوريا، ثم بعد قرنين، جاء علي قرة باش احد علماء أدرنة (ت.1685م)[25] الذي وصل مدينة حلب، حيث كانت موضع نشر الخلوتية الأول في سوريا، وقد تلقى عبد اللطيف الحلبي هذه الطريقة في مدينة حلب مسقط رأسه، وانتقل بعدئذ إلى مدينة دمشق لنشرها، فأجاز الطريقة كما قدمنا للشيخ البكري الصديقي. ويذكر المرادي في ترجمته لعبد اللطيف الحلبي انه أخذ الطريقة عن شيخه، مصطفى الادرني (ت.1702م) (الادرنوي وفق المرادي)، الذي اخذ عن شيخه قرة باش المذكور أعلاه.[26] إذن يبدو لنا أن بذور الطريقة الخلوتية كانت عند الأتراك وكذلك في مناطق القفقاز (القوقاس) ومن ثم انتقلت إلى البلاد العربية، نعني أنها انتشرت بواسطة الأتراك.

مما يؤكد ذلك ان مواطن اسماء رجال الخلوتية تشير ان الخلوتية انتشرت من اماسيا وهي من بلاد الاناضول الوسطى ومنها الى استانبول في القرن الخامس عشر ميلاديا، نذكر على سبيل المثال: يحيى الشرواني (ت.1464م سيذكر لاحقا) الذي ولد في الجنوب الشرقي من القوقاس في ولاية شروان، ثم انتقل الى باكو في ساحل بحر الخزر في منتهى جبل القوقاس ودفن هناك، وقد نشر الخلفاء في امكنة مختلفة وهو اول من نهج تعيين الخلفاء، ومحمد جمال الخلوتي المعروف بجلبي سلطان الاقسرائي (المعروف بشلبي خليفة او جلبي وتعني بلغة الاتراك الرباني وسلطان يستعمل في كبار الاولياء عندهم). وقد ولد في اماسيا ويعتبر من خلفاء يحيى الشرواني، والشيخ علي قراباش الولي المعروف المذكور اعلاه، الذي ولد في الاناضول في بلد يدعى قراباش (أي الأسود الرأس)، ومصطفى الادرنوي الذي اخذ الطريق

عن علي قراباش وانتقل إلى استانبول، ومن ثم عبد اللطيف الحلبي الخلوتي الذي ولد في حلب ودفن في دمشق، واخذ من مصطفى الادرنوي في مصر القاهرة.[27] وهو المولود في الاناضول ثم انتقل الى استانبول وتوفي هناك.
بعد البيعة التي تمت مع شيخه عبد اللطيف الحلبي، لم يقم في السنوات الأولى في مهمة نشر الطريقة الخلوتية أثناء وجوده في سوريا حيث كان متكتما في هذا الباب، وإنما كان موضع اهتمامه زيارة الاماكن المقدسة في سوريا، ففي عام (1122هـ/ 1710م) قام بزيارة قرية برزة[28] التي تعتبر ضاحية من مدينة دمشق اليوم، وسوف نتناول المقام الذي ينسب الى ابراهيم عليه السلام لاحقا. حيث سجل تفاصيل رحلته تحت عنوان **برء الأسقام في زيارة برزة والمقام**.[29] (مقام إبراهيم عليه السلام) وكان الداعي لزيارة المقام كما ينقل الشيخ البكري عن كتاب فضائل الشام ودمشق للربعي (ت. 1052م) ان هذا المكان يعتبر احد ثلاثة امكنة يستجاب فيها الدعاء وهي مغارة الاربعين وجامع بني امية والمسجد (أي مسجد ابراهيم) الذي فوق برزة.[30] وفي طريقه قبل وصوله الى المقام زار بعض الاماكن المقدسة مثل الجبانة[31] والشيخ علي صاحب البقرة ومرج الدحداح والشيخ بكار.
ومن الملاحظ ان الشيخ البكري الصديقي قد زار اماكن عديدة ذات قداسة عند العامة، وهذا يتنافى مع ما يؤمن به علماء السنة، ونفسر الهدف من زياراته رغبته في أن يظهر مدى استحباب الزيارة، في ظل معارضتها لدى بعض العلماء المسلمين نخص الحنابلة منهم.
نذكر في هذا المضمار أن الفترة المملوكية شهدت معارضة شديدة بالنسبة لتقديس المقامات وزيارة الأماكن المقدسة، تجلّى ذلك بالموقف الصريح الذي أظهره ابن تيميّة (ت1328م) وقسم من تلاميذه (القليل ممن يمثل التيار الحنبلي) الذين ساروا على نهجه وموقفه منها، في ظلّ انتشار تقديس المقامات، وما يرافق ذلك من عبادات في أماكن معينة من العالم الإسلامي. أما ابن تيمية وقسمًا من تلاميذه الذين نهجوا وتشدّدوا حسب السنة النبوية فقد طرحوا المسألة بأسلوب جدلي ومنطقي قائم على البرهان والحجج في الإسلام، فأظهروا موقفهم المعارض للبدع والتجديدات التي ساعد على وجودها ربما عامة الناس، لأسباب دينية ونفسية وسياسية وعقائديّة.[32]
نشير بأن الشيخ البكري زار مقام حسن الراعي في اول زيارة له في القدس عام(1710م)
وبعد عامين أي عام (1713م) ايضا توجه الصديقي لزيارة مقام حسن الراعي وولده عبد العال بالقرب من مدينة اريحا، قصدا للزيارة، وفي طريقه ايضا زار بعض الاماكن المقدسة، كذلك لدى عودته، وقد سجل رحلته تحت عنوان **"لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال".**[33]

3. الشيخ مصطفى البكري الصديقي في بيت المقدس.

كما أشرت في مقدمة الدراسة، لا يوجد ثمة تفاصيل شاملة، حول حياة الشيخ البكري الصديقي (عدا الدراسة التي صدرت بالألمانية مؤخرا لرالف ايلجر وبالعربية لكرم أبو كرم)[34] وما وجدناه في بعض كتب التراجم هو بمثابة إيجاز لبعض الجوانب المركزية في حياته، نخص بالذكر بعض الأماكن التي رحل إليها نذكر على سبيل المثال القدس وفلسطين ومصر واستانبول، وطرابلس والعراق وبلاد الشام ومدن الحجاز المقدسة، لأنه من المعروف قد حج إلى المدن الحجازية نعني مكة والمدينة المنورة أربع مرات[35] كما سنشير لاحقا، ,ويبدو انه كان يمهد لنشر الطريقة الخلوتية في المدن الحجازية المقدسة، بعد نشرها في كل من سوريا وفلسطين ومصر، فضلا عن اهتمامه بالجانب الديني والروحاني، نعني اداء فريضة الحج. ولا بد من الإشارة إلى أن انتعاش الخلوتية في كل من فلسطين ومصر قد امتد الى الحجاز (الطريقة السمانية). ثم يجب ان نشير أن تأديته فريضة الحج عدة مرات مفاده رغبته في نشر الخلوتية في الديار الحجازية، إذا أخذنا بعين الاعتبار ممن كان يرافقه لدى زيارته كل من مكة والمدينة وذلك في سبيل نشر الطريقة.
أما بالنسبة لرحلته الأولى الى بيت المقدس، فمن المعلوم لدينا انه زار بيت المقدس لأول مرة عام (1122هـ/ 1710م)، حيث تزوج أيضا هناك كما سنذكر الأمر لاحقا. وكان الهدف من وصوله محاولة نشر الطريقة الخلوتية في بيت المقدس وفلسطين عامة وقد الف خلال وجوده في القدس كتابه الذي هو مجموع من الأوراد **"الفتح القدسي والكشف الإنسي"**. وهو لا يزال مخطوطا.
من المخطوطات التي توضح لنا رحلة الشيخ البكري الصديقي إلى بيت المقدس، هي مخطوطة "الخمرة المحسية في الرحلة القدسية"[36]، للشيخ نفسه، وورد في مقدمة المخطوطة:" طال ما كانت تتوجه بي الهمة وتقلقني الأشواق بعزمه اثر عزمه إلى ريان بيت المقدس الشريف الذي مناره عال غال منيف، لا زال محفوفا بألطاف اللطيف... فكان ذلك في يوم الخميس المبارك الأنيس في اليوم التاسع عشر من محرم الحرام الذي هو من شهور عام اثنين وعشرين ومائة وألف وفيه شرعت بحول طول المعين في رحلة تجمع ما يمنحه المتين، وسميتها **بالخمرة المحسية في الرحلة القدسية...** ولقد كنت يوما عند شيخنا المرحوم الشيخ عبد اللطيف الخلوتي الذي هو بالرحمات معموم قدس الله سره وجعل في مقعد

الصدق مقره، فورد عليّ بيتان بشّراني بالزيارة، ولم تكن لي ببال وكان ذلك قبل وفاة شيخنا المذكور بنحو سنتين أو أكثر، وأنشدتهما إياه في الحال وهما:

نحن أهل القدس

والمقام الأقدس

مجلس القرب يقينا في

الأعالي مجلس

فدعا لنا الشيخ رحمه الكبير المتعال بتحقيق هذا المقال ونيله بالحال".[37] وهذا يعني لنا انه قام بالزيارة بتوصية أو تشجيع من شيخه، الذي يبدو أيضا انه كان له علاقة مع السلطة العثمانية في سوريا.

كما ورد أعلاه فان الشيخ البكري الصديقي خرج في التاسع عشر من محرم عام 1122هـ وعاد في الخامس عشر من شعبان من السنة نفسها، وقد استغرقت الرحلة سبعة أشهر. أما الطريق التي سلكها ليصل إلى مدينة بيت المقدس، فهي لا تختلف عن الطريق التي سلكها شيخه عبد الغني النابلسي في رحلته الأولى إلى بيت المقدس وهي تحت عنوان: **"الحضرة الانسية في الرحلة القدسية**."[38] وهي تعتبر المسلك الرئيسي بين دمشق وفلسطين، حيث بدأ من قرية داريا، خان الشيخ سعسع، القنيطرة، جسر بنات يعقوب، جب يوسف الصديق، المنية، عيون التجار، جنين، نابلس، سنجل، البيرة، بيت المقدس.

إن المكان الأول الذي زاره قبل دخوله القدس مزار الشيخ جراح[39]، ولدى وصوله المدينة أشار الشيخ البكري الصديقي أن من أكرمهم في بيت المقدس لدى وصوله ومجموعته التي رافقته من دمشق، يدعى محمد الطواقي، وذلك قبل وصولهم الى المسجد الأقصى المبارك والصخرة، وقد رافقهم لزيارة الحرم احد التجار المدعو علم الدين العلمي، والشيخ يحيى الدجاني، خادم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام.[40]

من المهم ان نشير ان عائلتي الدجاني والعلمي كانتا من العائلات الصوفية في القدس، عرفتا منذ نهاية الحكم المملوكي، وقد كان لهما تأثير على طابع القدس كمركز روحاني وديني في القرنين السابع والثامن عشر، وهناك الكثير من رجال الصوفية من زار العائلتين نذكر منهم عبد الغني النابلسي الذي زار بيت المقدس كما اشرنا أعلاه، ووصف الحياة الدينية والثقافية في المدينة في رحلته المذكورة. وكذلك الشيخ البكري الصديقي وفق الاقتباس أعلاه، وهذا يشير إلى المكانة التي حظي بها رجال الصوفية في المجتمع، إضافة إلى علاقاتهم مع حكام الألوية المختلفين الذين مثلوا الإمبراطورية العثمانية في سوريا وفلسطين، مثل الوالي رجب باشا الذي سنشير إليه في سياق حديثنا.

يذكر الشيخ البكري الصديقي في رحلته هذه انه زار عدة خلوات في بيت المقدس، نذكر على سبيل المثال خلوة محمد الخليلي[41] التي تقع على يمين الصخرة، وخلوة فتح الله الدجاني في الحرم القدسي، لكن الخلوة المركزية التي كان يعتكف فيها تدعى الخلوة النحوية.[42] التي استخدمت كمدرسة لتدريس النحو العربي، وقد دعيت الخلوة التحتانية لانها كانت تقع في طابق سفلي، وهناك خلوة أخرى تدعى الخلوة المنوّرة[43]

حول مسالة زواجه نذكر أن عمه محمد البكري الذي كان وصيا على أملاكهم وعده أن يزوجه ابنته، فلم يتيسر له الأمر كما ورد ذلك لدى المرادي في سلك الدرر، ولدى بروكلمان في ترجمته لحياته في كل من دائرة المعارف الإسلامية وتاريخ الأدب العرب بالألمانية.

من الجدير بالذكر ان الشيخ البكري الصديقي لم يستخدم في مخطوطته اسم الطريقة الخلوتية كسبيل صوفي ديني في كثير من الأحيان، وإنما مصطلحات مثل الطائفة، الطريق، المنهج المستنير الابهج.[44] ويبدو لنا أن الشيخ الصديقي كان يبتغي نشر الطريقة في البداية بشكل بطيء، ليختبر مدى انتشارها وقبولها لدى مختلف الطبقات في المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى وجود طرق صوفية أخرى في القدس مثل القادرية والرفاعية والشاذليّة والمولوية.[45] وقد ورد دليل ذلك في مخطوطة الخمرة المحسية: "اجتمعنا في خلوة الدجاني (ذكر أعلاه) في الحرم نتذاكر فيها فما مضت مدة حتى كثرت العدة، ففررنا من المحل لغيره خوفا من الاشتهار...وبعد أيام طلب السيد محمد الطريق (المقصود محمد الطواقي) فأدخلناه على الاستخارة (أي طلب الإرشاد الإلهي) فكررها مرارا حتى بدت له أعلام التوفيق عن استنارة فاندرج بحمد الله تعالى في سلك هذه الطائفة التي محبها مجاب الدعوة، وتبعه صديقنا نور الدين في طلب الوصلة بالطريق المتين فامتنعنا خوفا من عدم القيام بالشروط وفرقا من حل عقدة العهد المربوط، فأجاب بقبول الشرط والنهي والأمر ولو كان بالجلوس على الجمر **وأمرتهم بالكتم دون الإشاعة**، وأوصيتهما بحفظ ناموس الطريق وعدم الإضاعة...ثم جاء السيد مصطفى بن عقبة وأخوه عبد الله بهمة وجذبة وطلبا اندراجا في هذا المنهج المستنير الابهج فحصل لهما ما طلبا، وكذلك السيد داود وعبد الله المصري وسليمان من أهل بيتونيا... وكنا نجتمع معهم في الخلوة النحوية ونقرا الأوراد جماعة بهم ... سيّما ورد السحر... الذي للألباب سحر، فانا كنا نقرأه بعد غلق الأبواب... ومكثت في تلك الخلوة ثلاثة أشهر".[46]

ويضيف الشيخ البكري في نهاية المخطوطة قائمة من الأشخاص الذين اتبعوا الطريقة الخلوتية في القدس

ورد في المخطوطة:" وكان ممن اخذ الطريق وانتسب لهذه الطائفة العلية الحاج علي شعال السلطانية". وفي موضع آخر:"وكان ممن اخذ الطريق في الجملة الحاج محمد بن نسيبة".[47] ويبدو لنا أن الذين اتبعوا الطريقة في رحلة الشيخ البكري الأولى إلى القدس لم يتجاوز العشرات من الأشخاص وفق اطلاعنا على المخطوطة ومصادر أخرى. وهذا ليس عددا بالقليل بالنسبة لتلك الأيام.

ومن المعلوم أن الشيخ البكري كان حريصا لوضع شروط لهذه الطريقة، منها ما يرتبط بلباس المريد باستخدام الخرقة كما جاء في المخطوطة:"وقد كنت وضعت رسالة في آداب الخرقة سميتها **النصيحة السنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية"**[48] ونلاحظ من خلال العنوان مدى اهتمام الصديقي بذكر آداب وكسوة المريدين وممن اتبع الطريق كوسيلة شرعية للطريقة. نذكر في هذا السياق أن الشيخ البكري قد التقى في الخلوة بالشيخ أبي فروة، وقد سمي بذلك لأنه كان زاهدا يلبس فروة على ظهره، ويظهر ان الشيخ البكري كان يرتدي الملابس الفاخرة فسأله الشيخ "أهكذا كان لباس صاحب الأخلاق المرضية؟... فقلت له ما معناه اللباس الخشن تتخذه القوم زهدا في الدنيا. لكن قد يكون لابس الخيش غير زاهد القلب ولابس الحرير متصف بذلك".[49]

ثم لم يغفل ترجمة شيخه عبد اللطيف حيث أسمى رسالته **الكوكب الثاقب في بعض ما لشيخنا من المناقب**. وهناك أيضا ما يرتبط بشروط هذه الطريقة ورد لديه: "فطلب الإخوان وصية ينتفعون بها تجمع معظم الأركان وكان بعض شروط الطريق الراجح الميزان، فأجبتهم لذلك ولما تمت صعدنا بهم طور الإحسان وقرأتها عليهم في ذلك المكان وسميتها **الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية"**.[50] ولدى وصوله مدينة دمشق ألف رسالة تحت عنوان **"هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب"**.[51]

يبدو لنا وفق مخطوطة الخمرة المحسية أن الشيخ البكري كان يشغل نفسه ليلا مع مجموعته التي رافقته من دمشق وكذلك الذين اتبعوا الطريقة في بيت المقدس بالذكر والأوراد، وكذلك إحياء الليالي بالأدعية الخاصة، خاصة في الزوايا والخلوات.[52]

نذكر بالنسبة لدمشق وبيت المقدس بدءا من الفترة المملوكية وحتى الفترة العثمانية وجود علاقة متبادلة ثقافيا، فمن المعروف ان المدينتين ضمتا العديد من المدارس التعليمية، لذا نجد ممن سافر من دمشق إلى بيت المقدس وكذلك من بيت المقدس إلى دمشق، وان كانت مدينة دمشق لها المسؤولية الإدارية والعسكري في الفترة التي ذكرناها.

لا نغفل ان الشيخ البكري الصديقي كان قد قام بزيارات مختلفة للاماكن المقدسة في القدس وضواحيها، وأماكن مقدسة أخرى، نذكر على سبيل المثال المقام المنسوب للنبي موسى بالقرب من أريحا، حيث كان الموسم الكليمي في ذلك العام نعني الاحتفالات والشعائر الدينية التي كانت تقام في المقام.[53] ويتحدث الشيخ البكري عن حدوث كرامات وأمور خارقة في المكان أثناء الزيارة وبعد رحيل الزائرين. ثم زيارة حسن الراعي، أي راعي أغنام موسى عليه السلام ويقال انه رعى للنبي شعيب عليه السلام أغنامه مدة عشر سنوات، وكذلك قام بزيارة الخليل، حيث زار الحرم الإبراهيمي وقبور الأنبياء في هذا المكان (مثل النبي إسحاق ويعقوب وغيرهما)، أما في القدس فقد زار جبل الطور، وقبر سلمان الفارسي وبعض الصالحين، وبالقرب من نابلس زار النبي يوشع بن نون وأماكن أخرى.[54]

من الجدير بالذكر أن الشيخ البكري قام بزيارة الأنبياء الذين ذكروا في القرآن وكذلك الأتقياء والأولياء المعروفين، كما هو الأمر في السنة النبوية، وكان يدعو الله ويصلي بالقرب من هذه الأمكنة وليس يتوسل بواسطتها، عدا إشارته إلى بعض الحالات الخارقة عن العادة والتي حدثت بجانب مقام النبي موسى، نذكر على سبيل المثال انه عندما زار مقام النبي موسى عليه السلام، كان يشعر بصداع وعندما رفع ستارة التابوت ووضعها على رأسه زال الصداع، وكذلك عندما يرحل الزائرون عن المقام تاتي طيور وتنظف المكان.[55]

نذكر أيضا أن الشيخ البكري الصديقي قد أكثر وأبدع في نظم القصائد لدى الأماكن المقدسة التي زارها في بيت المقدس والمناطق المجاورة لها، وهي بمثابة قصائد مديح لأصحاب المقامات، كما ورد الأمر في **"الخمرة المحسية"**، ومخطوطات أخرى بحوزتنا. بعض هذه القصائد كانت من نظم المداح الذي يمتدح الأماكن المقدسة وأصحابها الذي كان يرافقه، ولا نعلم فيم إذا كان المداح يعتاش من ذلك كجانب اقتصادي لدى زيارة الأماكن المقدسة. وفي هذه الرحلة لم يجعل احد مريديه خليفة في القدس قبل مغادرته المدينة وإنما في زيارة لاحقة كما سنشير لاحقا.

بعد أربع سنوات من زيارته إلى القدس، رغب الشيخ البكري الصديقي في زيارة بيت المقدس مرة أخرى، وقد وردت رحلته تحت عنوان **"الخطرات الثانية الانسية للروضة الدانية القدسية"**.[56] وقد غادر دمشق كما ورد في المخطوطة في أوائل شعبان عام (1126هـ/ 1714م) ويذكر قبل سفره معلومة تاريخية ترتبط بالبدو وهجماتهم على السبيل أو الطريق السلطاني، وكذلك قطاع الطرق الذين شكلوا خطرا على قافلة الحج الشامي التي تخرج من مدينة دمشق في القرنين السابع والثامن عشر ورد لديه: "وظهر وانتشر أن عرب الصقر أهل الضرر منعوا السبيل السلطاني فتوجهت إلى زيارة شيخنا المرحوم الغارف من البحر... الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين...وجلست عند ضريحه وعرضت عليه ما سمعته...ففاحت حالا رائحة عطر

سيسباني ففهمت إشارته من أن الطريق فيه أمان وأماني".[57]
لقد اتبع الصديقي السبيل السلطاني المعروف فتوجه كما ورد في المخطوطة إلى سعسع والقنيطرة ثم اتجه الى ارض صفد وجب يوسف فالمنية فعيون التجار فجنين فنابلس فالبيرة. وقد نزل الشيخ البكري في هذه الرحلة في الخلوة الرصاصية.[58] ونزل فيها أيضا الخلوتي احمد القادري البغدادي. وفي شهر رمضان انتقل إلى خلوة جار الله في الحرم، وكان ياكل في دار مصطفى بن عقبة. وهناك خلوات أخرى كان قد نزل فيها للقراءة وكذلك لنشر الطريقة الخلوتية نذكر على سبيل المثال: الخلوة البيرمية، وخلوة العروج.[59] ولم يغفل أيضا التكايا او الزوايا.
وكما هو معتاد ينتهز الصديقي الفرصة لزيارة بعض الاماكن المقدسة، او التي تحتوي على مقامات للتوسل والدعاء، مثل النبي موسى، وإبراهيم الخليل عليهما السلام، وراعي الكليم، ونبي الله العزير في قرية العيزرية، والنبي داود، ثم زار مدينة نابلس وقرية دير شرف، والبيرة، ومقام سيدنا علي شمال يافا، وكفر سابا. وهي في الحقيقة لا تخلو من أماكن مقدسة أو مقامات. ثم زار أماكن مقدسة في جبل الطور، كذلك زيارة نبي الله شموئيل يظهر كما اشرنا أن الشيخ البكري الصديقي اهتم أيضا في نشر الطريقة الخلوتية ليس بنفسه فحسب وإنما بواسطة أشخاص آخرين انضموا إلى الطريقة من قبل. نقتبس بعض الفقرات مما ورد في المخطوطة، نذكر على سبيل المثال في القدس:" وأمرت الطلاب أن ينفرد كل واحد في خلوة، ولو بإحرام أو إزار لتتحقق لهم بالوحدة المسرة"؛ "وتوجهنا... إلى التكية الهمية المسماة بالادهمية وطلب هناك الأخ الأمجد السيد محمد أرجوزة في الآداب، فأجبته لذلك". ولدى زيارته الخليل:" ومنن اخذ الطريق فيه إبراهيم الخليلي والحاج دياب، والشيخ محمد القيمري والطرعاني".[60]
ومن الجدير بالذكر أن الشيخ البكري الصديقي كما نوهنا من قبل، ألف العديد من المنظومات الشعرية والرسائل والكتب التي حاول فيها شرح سبل الطريقة الخلوتية ومنهجها الديني والأخلاقي نذكر على سبيل ما ورد في المخطوطة أعلاه: **الوارد الطارق واللمح الفارق، كتاب الضياء الشمسي، رسالة الصحبة التي أنتجتها الخدمة والمحبة، نظم القلادة في معرفة كيفية إجلاس المريد على السجادة، تشييد المكانة لمن حفظ الامانة، فيض الجليل في أراضي الخليل**. وجميعها مخطوط.[61]
يشير الشيخ البكري الصديقي في المخطوطة المذكورة أعلاه (الخطرات الثانية)، إلى قدوم الوزير رجب باشا واليا، في أواسط شوال من نفس العام الذي زار به بيت المقدس (أي عام 1714م) حيث توثقت العلاقة به تدريجيا عندما كان مقيما في القدس. ورد في المخطوطة:" في أواسط شوال قدم الوزير المرجب نسبا رجب باشا...وطلب الوزير المذكور الجمعية، فأجبت بشرط أن تكون في المغارة الألمعية، ومنها تعلق قلبه وازداد بنا حبه".[62] ومن المعروف ان هذه السنوات كان واليا محليا على سنجق القدس والخليل، قبل ولايته على مدينة دمشق، وهذا لم يذكر لدى بعض المؤرخين الذين تناولوا هذه الفترة بالذات، وما ورد لديهم تعيينه واليا على دمشق عام 1718م، وربما بعض الدارسين والمستشرقين في الفترة الحديثة اعتمدوا على بعض مؤلفات القرن الثاني عشر للهجرة. ونعتمد في إشارتنا أعلاه على مخطوطة ترجع للقرن الثامن عشر لمؤلف مجهول، تحت عنوان "**تاريخ القدس والخليل عليه السلام**".[63]
يشير الباحث محمد عدنان البخيت في مقدمة كتابه الذي ذكرناه أعلاه أن العلاقة قد توثقت بين الوزير رجب باشا ومحمد الخليلي والشيخ البكري بعد توجيه ولاية مصر للوزير عام 1719م.
ينوه الشيخ البكري الصديقي الى مدى اهتمام الوزير في قافلة الحج الشامي، خشية من قطاع الطرق، وكذلك التعميرات والترميميات في الأماكن المقدسة، التي قام فيها في مدينتي القدس والخليل، مثل مقام النبي داود، واشموئيل وغير ذلك من أماكن، ثم لا نغفل إحياء وقف الخليل وإدارة سماط إبراهيم عليه السلام، وهو بمثابة الطعام الذي يقدم للفقراء وغيرهم[64] بعد انقطاعهما مدة من الزمن. تجدر الإشارة أن مخطوطة تاريخ القدس والخليل عليه السلام المذكورة أعلاه تشير إلى أعمال الوزير المذكور التعميرية للاماكن المقدسة في منطقتي القدس والخليل، في فترة السلطان احمد الثالث (1703- 1730م). وهذا يؤكد ما جاء لدى الشيخ البكري في المخطوطة أعلاه من جانب وأيضا لا نغفل اهتمام السلطة العثمانية في الأماكن المقدسة ليس من الجانب الديني فحسب وإنما كجانب اقتصادي أيضا.
لا شك أن العثمانيين اهتموا كما اشرنا أعلاه بالصوفية ، وبيان ذلك انتشارها بدءا في فترات السلاطين المختلفة وان تباينت مواقف تشجيع ودعم الطريقة لدى البعض منهم. وتظهر المخطوطة التي نحن بصددها مدى اهتمام الوزير رجب باشا ليس بالأماكن المقدمة فحسب وإنما بالاستماع إلى حلقات الذكر التي كان يقيمها الشيخ البكري الصديقي أثناء لقائه به، ورد في المخطوطة:" وامرنا بإحضار إخواننا ومن الينا ينتمي، من كل قائل في الظل يحتمي...أجلسنا لديه وقربني اليه وامر بالذكر في الحضير

الكبير وجلس هو فوق المصفة ليسمع التهليل والتكبير..."[65] وقد عاد الشيخ البكري الصديقي إلى دمشق عام (1127هـ/ 1715م) كما ورد في رحلته الثانية إلى بيت المقدس، وهكذا فان رحلته استمرت أكثر من عام.[66]

في عام (1128 هـ/ 1716م) استقام الشيخ البكري في الشام كما يشير في نهاية مخطوطة "**الخطرات الثانية**" ثم توجه لزيارة حلب، ويشير البكري في نهاية المخطوطة الى اسم الرحلة وهي تحت عنوان "**الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية**".[67] ثم توجه نحو بغداد حيث يقول في مخطوطة الخطرات الثانية :"واستقمت في الشام من سنة 1128هـ إلى أن مضى الثلثان من شهر رجب الحرام فتوجهت إلى حلب المعمورة"[68] وفي مخطوطة الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية يشير:" كان كثيرا ما يخلج في بالي فيهيج أشواقي وبلبالي زيارة بغداد ورجالها الموالي".[69] حيث انتهزها فرصة لزيارة قبر الشيخ الصوفي عبد القادر الجيلاني[70]، ونزل هناك في خلوة واسعة، يذكر في هذا السياق: "وخلت خلوتنا من الاغيار وامتلأت بالأسرار والأنوار".[71]

تظهر مخطوطة الحلة الذهبية الزيارات التي قام بها الشيخ البكري للاماكن المقدسة المختلفة في سوريا، نذكر على سبيل المثال مدينة حمص حيث زار قبر خالد بن الوليد، ويمدحه بقصيدة مطلعها:

نار شوقي بلوعة القلب زيدي في هوى الفرد خالد بن الوليد

ولا يغفل أن يذكر بجانب المدينة العرب أو البدو الذين يقومون بنهب الأموال وسرقة قوافل المارة كرصد للواقع في القرن الثامن عشر، ثم مدينة حماه حيث زار جامعها، كذلك المعرة ومدينة حلب حيث زار زكريا عليه السلام ويحيى الحصور ونزل في تكية الشيخ أبي بكر بن أبي الوفا، ثم إلى طرابلس الشام وجبلة وطرسوس، حيث نزل في خلوة مدرسة الحدادين، وفيها أجاز بعض الأتقياء في الطريقة الخلوتية[72] نضيف انه زار مقام النبي يوشع بن نون عليه السلام في المنية. ثم زار بيروت، ومن هناك توجه مرة أخرى نحو فلسطين فزار عكا وجنين ونابلس ودخل القدس للمرة الثالثة حيث نزل في الخلوة البيرمية، ثم انتقل في أول شهر رمضان إلى خلوة جار الله. وتشير المخطوطة انه زار مدن الساحل مثل غزة وعسقلان والرملة وعاد إلى دمشق[73]. ويبدو لنا أن الشيخ البكري الصديقي لا تظهر في زياراته ملامح تبعد كثيرا عن العبادة والزيارات لدى أهل السنة، لانه يهتم بزيارة الأنبياء المذكورين في القرآن من جهة، ناهيك ان الأدعية لدى الأماكن المقدسة لا تخرج عن المقبول في الإسلام السني.

في عام (1129هـ/1717م) عزم عمه على الحج للمرة الأولى فتوجه معه وقد وعده من قبل أن يزوجه ابنته فلم يتم ذلك، حيث رحل إلى بيت المقدس وتزوج هناك. وفي هذه الأثناء اشرنا إلى قدوم الوالي رجب باشا إلى فلسطين، كجانب إداري بعد أن تم التعرف عليه من قبل حيث اصطحبه إلى مصر في العام المذكور أعلاه، بعد أن قام بنشر الطريقة في كل من المركزين الهامين دمشق وبيت المقدس.[74]

لقد توجه البكري الصديقي لحلب للمرة الثانية عام (1135هـ/ 1723م) كذلك نحو طرابلس وحمص وحماة، وقد نزل في حماة في بيت السيد يس القادري الكيلاني شيخ القادرية في مدينة حماة واخذ عنه الطريقه القادرية، ثم اتجه من حلب إلى استانبول حيث وصلها في السابع عشر من شعبان.[75] ونزل فيها في مدرسة سورتي، ثم زار العديد من المدارس، وانتهز الفرصة للتأليف، وكان يجتمع هناك مع شيخه وتلميذه محمد بن احمد التافلاتي[76]. بعد ان مكث فيها أربع سنين، وفق رواية المرادي، وسنة واحدة حسب الجبرتي في ترجمتيهما للبكري.

إن زيارة الشيخ البكري لحلب في المرة الثالثة كانت عام (1139هـ/ 1727م)، ثم توجه نحو العراق فزار مدينة بغداد للمرة الثانية، فنزل في التكية القادرية وكذلك نحو الموصل، وفي هذه الأثناء وصله كتاب من شيخه عبد الغني النابلسي يطلب منه العودة إلى الشام ابتغاء والدته فرجع إلى حلب للمرة الرابعة ومنها إلى مدينة دمشق، حيث نزل في التكية الباذرائية.

ثم رحل إلى صفد عام (1140هـ/ 1728م) ومنها إلى القدس حيث عزم منها على زيارة الحجاز لأداء فريضة الحج عام (1145هـ/ 1733م) للمرة الثانية وسلك طريقه للحج من مدينة نابلس إلى المدينة المنورة ومكة المشرفة، وقضى فيها المناسك العامة للحج. وهذا يعني انه بقي في القدس بين الاعوام المذكورة اعلاه.

عاد الشيخ البكري الصديقي إلى القدس ليس لزيارة الأماكن المقدسة بقدر أن عنايته الأساسية كانت ابتغاء نشر الطريقة الخلوتية، وأجاز في القدس للشيخ محمد بن احمد الحلبي المكتبي وجعله خليفة له في القدس، الذي يعد الخليفة الآخر نعني الحفني في مصر.[77]

وفي عام (1148هـ/1736م) توجه الشيخ البكري الصديقي لزيارة البلاد الرومية ومن ثم الى القسطنطينية وهذه تعتبر المرة الثانية التي يزور فيها الشيخ البكري السلطنة العثمانية حيث اجتمع مع التافلاتي المذكور اعلاه، كجانب في تعزيز الطريقة، لكن لا يوجد معلومات لدينا حول اهمية هذه الزيارة. وبعدئذ توجه بحرا الى الاسكندرية لدخول مصر، حيث انتشرت الخلوتية الى ان وصل عدد المريدين الى مائة الف شخص وفق رواية المرادي. يذكر المرادي والجبرتي

أن الشيخ البكري طلب عدم تسجيل اسماء المريدين لان الطريقة لا تقاس بعدد افرادها "هذا لا يدخل تحت عدد".[78] ولا شك كما اشرنا من قبل ان نشر الطريقة بهذا الشكل كان نتيجة لخليفته الحفني الذي عينه خليفة له في مصر، كما فعل ذلك في بيت المقدس كما اشرنا اعلاه. وهذا الجانب يعتبر امرا هاما حول نشر فكرة او عقيدة من العقائد. نذكر ان انتشار الخلوتية بعد الشيخ البكري في مصر كانت بمساهمة الحفني.

وفي عام (1149هـ/1737م) عزم الشيخ البكري على الحج للمرة الثالثة، ثم رجع إلى مدينة دمشق حيث كان واليا سليمان باشا العظم وفق رواية ابن كنان في **"المواكب الإسلامية"**.[79] ولا توجد معلومات كافية لدينا حول المدة التي مكث في دمشق قبل انتقاله إلى كل من القدس ومصر وهي المحطة الأخيرة في حياته. ففي عام (1152هـ/ 1740م) توجه نحو القدس حيث مكث فيها حتى عام (1160هـ/ 1747م) أي سبع سنوات ومنها توجه إلى مصر واقبل على الإرشاد بشكل مكثف والناس يقبلون على هذا الأمر. وفي عام (1161هـ/ 1748م) عزم على الحج للمرة الرابعة، وهي بمثابة رحلة الحج الأخيرة له وقد عاد منها إلى مصر حيث سكن بدار عند قبة المشهد الحسيني، فأدركته المنية في القاهرة عام (1162هـ/ 1749م) ودفن بتربة المجاورين كما أشار الجبرتي في "عجائب الآثار من نفس العام كما اشرنا أعلاه.

نتائج الدراسة

لا شك أن الشيخ البكري الصديقي، كان له الاثر الكبير في نشر الخلوتية في الشام بالمفهوم العام والخاص، أي في سوريا وفلسطين، بواسطة أتباعه من الطريقة نفسها، حيث دأب على نشر مؤلفاته أيضا في هذا المجال، كأداة لغرس تعاليم الخلوتية في نفوس الأتباع الجدد، وقد لا حظنا أن نشرها لم يواجه عقبات، وهذا يعني لنا أن السلطة العثمانية في استانبول شجعت نشر الطرق الصوفية على اختلاف انواعها.

وقد استغل البكري في أثناء رحلاته المختلفة زيارة الاماكن والمقامات المقدسة، كنهج وكشرعية لزيارتها رغم معارضة أوساط سياسية دينية في القرن الثامن عشر، لمثل هذه الزيارات، نخص بالذكر أتباع حركة قاضي زادة (ت. 1634) في اسناتبول، الذين رفضوا مثل هذا النهج في سنوات الخمسين من القرن السابع عشر[80] وكذلك من يتبع التيار الحنبلي الذين حاربوا هذه الظاهرة بدءا من الفترة

المملوكية، وقد ظهر هذا الجانب من خلال مؤلفات ابن تيمية المختلفة .

الاحالات :

[1] انظر: البكري الصديقي، مخطوطة **الخمرة المحسية في الرحلة القدسية**، مخطوطة المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، مكتبة المدينة المنورة، عارف حكمت، رقم 3840. لدى العديد من الباحثين الذي اطلعوا على نسخة المخطوطة نجد اسم الرحلة الخمرة الحسية.

[2] انظر: ليندا شيلشر، **دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر** (ترجمة عمرو الملاح، دينا الملاح)، دمشق، 1998 ، ص189.

[3] Rafeq, A. K., The Province of Damascus1723-1783, Beirut, 1966 p. 97 انظر ايضا: ابن كنان، **المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، دمشق، 1992، ج1، ص 76.

[4] انظر: Hourani, A. H., “The Fertile Crescent in the Eighteenth Century”, in: *A Vision of History and otherEssys*, Beirut, Khayat’s,(1961), p.55. Rafeq, A. K., *The Province of Damascus1723-1783*, p. 97-101; F. De Jong., “Khalwatiyya”, in: *EI²* IV (1978), pp.991-993. قارن ايضا: Trimingham, J. S., *The Sufi Orders in Islam,*London, London, Oxford University press, 1971. p. 107.

[5] الباحث فيغارت في رسالة الدكتوراة يذكر بان المرادي في **سلك الدرر** قد ذكر بان البكري الصديقي قد توفي عام 1192 للهجرة، وهذا ليس دقيقا انظر: محمد بن خليل المرادي، **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر**، بيروت، 1988، ج4، ص199؛ قارن: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والاخبار**، القاهرة، 1998، ج1، ص(454. (تحقيق عبد العزيز جمال الدين). قارن: C. Brockelmann, “al-Bakrī”, in: *EI²* I (1986), pp. 965-966.

[6] انظر: يذكر ابن الزيات في كتابه، **الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة**، ان القرافة الكبرى تقسم الى ثلاث جهات الاولى النقعة الصغرى والمشاهد والنقعة الكبرى، والثانية جهة الامام ورش والمصيني والعثمانية وسنا وثناء والثالثة جهة الجبل وغيره. قارن: عبد المنعم الحفني، **الموسوعة الصوفية**، القاهرة، 2003، ص82- 83.

[7] يقصد الشيخ صاحب الكرامات احمد البدوي اكبر اولياء مصر (ت. 1276م)، انظر: مادة احمد البدوي في **دائرة المعارف الاسلامية.**

[8] لا نعلم باي تربة من الترب قد دفن الصديقي، لكن من المهم ان ابن الزيات في المصدر اعلاه يذكر في القرافة مقبرة البكريين "وهم جماعة من نسل ابي بكر الصديق رضي الله عنه" كما ورد في ترجمته اعلاه. ص227.

[9] انظر: يوسف النبهاني، **جامع كرامات الاولياء، القاهرة**، القاهرة، 1962، ج2، ص474.

[10] يذكر بروكلمان في **دائرة المعارف الاسلامية** مادة البكري "al-Bakrī" ان عمه قد رعاه "was brought up by his uncle" بينما في **تاريخ الادب العربي** بالالمانية يذكر ابن عمه. انظر: دائرة المعارف الاسلامية، مصدر سابق ص 956، وكذلك ايضا: C. Brockelmann, Geschichte der Arabischen Literatur, Leiden, 1949 s II, p. 348; s II, p. 477. قارن: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص 190. انظر ايضا مادة تصوف في **دائرة المعارف الاسلامية**: "Tasawwuf", in *EI²* V X (1996), Leiden, pp. 313-340.

[11] محمد الدكدكجي تركماني الاصل صوفي ولد في دمشق ودفن بمرج الدحداح، اما مراد الازبكي فهو ايضا نزيل دمشق نقشبندي صوفي هاجر الى بلاد الهند واخذ هناك الطريقة النقشبندية المجددية (وهي الاكثر انتشارا بالمقارنة مع النقشبندية التقليدية)، وتوفي في القسطنطينية اما الغزي فولد في دمشق وتوفي بمكة. انظر: المرادي، **سلك الدرر**، بيروت، 1988،ج4،ص25-27، 129، ج1،ص118. حول النقشبندية المجددية انظر مادة تصوف مصدر سابق في دائرة المعارف الاسلامية ص333. قارن: Ralf, Elger, *Mustafa* al-Bakrī*: Zur Schenefeld:* EB Verdag, 2004 , p. 45.

[12] انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص191-ص192. **المسلسل بالاولية**، هو كتاب لابي الفتح الميدومي (ت. 1364م). كما ورد الامر لدى حاجي خليفة في **كشف الظنون**، استانبول، 1365هـ، ج2، ص 1677. قارن: الجبرتي، **عجائب الاثار**، ج1،ص305. حول ابن ماجه فقد اختلف العلماء فيه فجعلوا الكتاب السادس موطأ الامام مالك، وعلينا ان نشير ان الكتب الصحاح هي غير الكتب الستة وانما سميت الكتب الستة بالصحاح على سبيل التغليب. انظر: صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحاته**، بيروت، 1978، ص 118- 119، محمد بن جعفر الكتاني، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، دمشق، 1332هـ، ص10-11.

[13] متصوف ولد ونشأ في دمشق ورحل الى بغداد وعاد الى سورية وتنقل في فلسطين وسوريا والحجاز، توفي في دمشق، وله رحلات عديدة اهمها، **الحضرة الانسية في الرحلة**

القدسية وقد صدرت في بيروت عام 1990، والحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، صدرت في دمشق عام 1998. انظر ترجمته في **عجائب الآثار**، ج1، ص 154؛ كراتشكوفسكي، **تاريخ الادب الجغرافي العربي**، بيروت، 1987، ص832.

[14] القادرية تسمى ايضا الطريقة الجيلانية، وتنسب الى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت. 1166م) الذي اسسها في القرن الخامس للهجرة في مدينة بغداد، ومن اهم مبادئها انسجام الطريقة مع مبادئ الشريعة، انتشرت في جميع البلاد الاسلامية، واما الطريقة النقشبندية فقد اسسها محمد بهاء الدين البخاري الشهير بنقشبند (ت. 1389م)، وكانت تسمى في البداية الصديقية نسبة الى الخليفة الراشدي ابي بكر الصديق رضي الله عنه، وتنتشر حاليا في الهند وتركستان وتركيا وبلاد الشام، وحول النقشبندية المجددية فهي طريقة الشيخ مراد اخذها من الهند على يد الشيخ احمد معصوم. Zarcone, TH., "Tasawwuf", in *EI²* V. Leiden (1996), pp. 313-340. انظر: ممدوح الزوبي، **الطرق الصوفية ظروف النشاة وطبيعة التطور**، دمشق، 2004، ص111، ص158. ويبدو ان البكري اخذ الطرق الصوفية من عدة شيوخ فمثلا النقشبندية من عبد الغني النابلسي وكذلك من مراد الازبكي البخاري (ت. 1720م). انظر ايضا: Trimingham, J. S., *The Sufi Orders in Islam,* Oxford University press, 1971, p. 62; 186. قارن ايضا: Margoliouth, D.S. "Qadiriyya", *EI²* IV 1997, pp. 380-384; Algar, H. "Nqshabandiyya", *EI²* VII Leiden, 1993, pp. 934-936.

[15] انظر: النبهاني، **جامع كرامات الاولياء**، القاهرة، 1962، ج2،ص481؛ قارن: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص194.

[16] انظر: النبهاني، **جامع كرامات الاولياء**،ج2،ص481. مع العلم ان هذه الطريقة لم تعرف بهذا الاسم الا في القرن الرابع عشر.

[17] انظر، ترجمته لدى المرادي في **سلك الدرر**، ج3،ص 123. قارن: F. De Jong., "Khalwatiyya", in: EI² IV (1978), pp.991-993. قارن: علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة**، القاهرة، 1304 -1306هـ، ج3، ص129.

[18] "الدحداح" نسبة لابي الدحداح الصحابي عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان (ت 1266م) والتي تقع شمالي المدينة، انظر: عبد القادر النعيمي، **الدارس في تاريخ المدارس**، بيروت، 1990، ج1، 104.

[19] هذه المدرسة داخل باب الفراديس والسلامة شمالي جيرون وقد كانت قبل ذلك دارا تعرف باسامة احد اكابر الامراء، وقد انشاها نجم الدين عبد الله بن ابي الوفاء البادرائي، ولي القضاء في بغداد على كره منه (ت. 1257م). انظر: عبد القادر النعيمي، **الدارس في تاريخ المدارس**، ج1، ص154، لكنه يذكر المدرسة باسم البادرائية بحرف الدال. ولدى ابن كنان في **المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، ج1،ص 325 يذكر المدرسة البدرائية لكنها بالصالحية بسفح قاسيون. قارن: Ralf Elger, *MusÔafa al-Bakri ,* p. 53.

[20] انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص191؛ قارن: النبهاني، **جامع كرامات الاولياء**،ج2، ص 472، حيث يورد نفس الرواية.

[21] انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، ج1، ص452. ورغم ان نشاته كانت في دمشق، فما يجذب النظر ان الجبرتي في ترجمته يذكر ان البكري الصديقي قد نشأ في بيت المقدس ورعاه بالعلم الشيخ عبد اللطيف الحلبي، ورد لديه:"نشا ببيت المقدس على اكرم الاخلاق واكملها، رباه شيخه الشيخ عبد اللطيف الحلبي وغذاه بلبان المعرفة والتحقيق، ففاق ذلك الفرع الاصل، وظهرت به في افق الوجود شمس الفضل فبرع فهما وعلما وابدع نثرا ونظما".

[22] انظر: Martin. B. *"*A Short History of the Khalwati Order of Dervishes*",* in (Keddi N. R. ed): *Scholars Saints and Sufis, Muslim Religious Institutions since 1500,* Berkeley-Los Angles, 1972,p. 275-305; Kissling, H.J. "Aus der geschichte des Chelvetiyya", *Z.D.M.G* (102), 1953, pp. 233-289; F. De-Jong., "Khalwatiyya", pp.991-993.

[23] انظر: Halil Inalcik, The Ottoman Empire The Classical Period 1300-1600. (N. Y.) 1989, pp. 70-75.

[24] انظر: F. De Jong., "Khalwatiyya",*EI²* IV pp..991-993. قارن: محمد زاهد الكوثري، **البحوث السنية عن بعض رجال اسانيد الطريقة الخلوتية**، بيروت، 2004، ص21- ص34. يذكر المؤلف كامل السلسلة الى الشيخ عبد الطيف الحلبي. قارن ايضا: محمد حسين مخلوف العدوي، **اوراد السادة الخلوتية**، القاهرة، 1963، ص67؛ عبد الخالق الشبراوي، **سراج اهل البدايات في التصوف**، القاهرة، 1366هـ، ص 180. يذكر الباحث عدنان البخيت في كتاب تاريخ القدس والخليل (لندن: 2004) ان محمد الخلوتي يعتبر مؤسسها وتعرف ايضا بالقرباشية وهي طريقة مؤيدة بالشريعة والحنفية واهم من نشر تعاليمها هو الشيخ مصطفى البكري في القرن الثامن عشر، ص89.

[25] ذكره بروكلمان في تاريخ الادب العربي ودائرة المعارف الاسلامية في مادة البكري الصديقي التي ذكرناها سابقا. قارن: طاشكبري زادة، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة**

العثمانية، في حاشية وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، القاهرة، 1299 هـ، ج2،ص 161- 165. قارن: Ralf Elger, *Mustafa al-Bakrī*, p. 62.

26 انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج3، ص 123. قارن: Ralf Elger, *Mustafa al-Bakrī* ,pp. 44-62; 45-63.

27 محمد مطيع الحافظ، **علماء دمشق واعيانها في القرن الثاني عشر الهجري**، دمشق، 2000، ج1،ص246؛ محمد زاهد الكوثري، **البحوث السنية عن بعض رجال اسانيد الطريقة الخلوتية**، ص28-ص34.قارن: F. De Jong., "Khalwatiyya", in: *EI²* IV .pp. 991-993.

28 النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**، بيروت، 1990، ج1،ص13؛ البصروي، احمد بن محمد، **تحفة الانام في فضائل الشام**، دمشق، 1998، 271؛ العدوي، ياسين بن مصطفى العدوي، **كتاب الزيارات بدمشق**، دمشق، 1956 ، 16؛ ابن حبيب (**مخطوطة**)، محمد بن حبيب، **دُرّ النِّظام في مَحَاسِن الشّام**، مخطوطة Princeton مجموعة يهودا Yahuda Collection رقم. 1862 (Els fol.8v) الايبش، الشهابي، احمد الايبش، قتيبة الشهابي، **معالم دمشق التاريخية**، سوريا، 1996، ص75-77؛ Kister, M. J., "Sanctity Joint and Divided", JSAI, XX (1996), pp.27-28.

29 اعتمدنا على مخطوطة المدينة المنورة في السعودية مكتبة عارف حكمت، رقم 3840. وهناك مخطوطة اخرى: في جامعة برينستون: Yahuda garret, Col. MS, no. 4478

30 انظر: **برء الاسقام في زيارة برزة والمقام**، مخطوطة المدينة المنورة، مكتبة عارف حكمت، رقم. 3840. هناك نسخة اخرى في جامعة برينستون:Yahuda garret, Col, MS.no.4478 fol. 56v. قارن: علي بن محمد الربعي، **فضائل الشام ودمشق** دمشق، 1950، ص61-67.

31 مكان يحتوي على اماكن مقدسة في دمشق ، وهناك جبانة العراق ومكة المكرمة وجبانة وعلا في الاسكندرية، راجع الهروي، **الاشارات الى معرفة الزيارات**، القاهرة، 2002، فهارس الكتاب 95.

32 يراجع: ابن تيمية، **كتاب الزيارة**، بيروت، د.س، ص11؛ **الفتاوى الكبرى** بيروت، 1988، ج5ص: 39 ؛**مجموع فتاوى ابن تيمية**، القاهرة، 1980، ج 27:ص 25 – ص27، ص 216 – ص219. يراجع: ابن تيمية، **الجواب الباهر في زوّار المقابر**، بيروت، 1997، ص 29 ،ص32، ص38؛ Matthews, Ch., **قاعدة في زيارة بيت المقدس**، in: JAOS I(1936) pp.21-26 ، وفي **الجواب الباهر**، يقول بالنسبة للزيارة البدعية "حتى أن أبا هريرة سافر إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام فقال له بصرة بن أبي بصرة الغفاري: لو أدركتك قبل أن تخرج لما خرجت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد:المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس." يراجع الكتاب، ص 33.

33 انظر: مخطوطة المدينة المنورة في السعودية مكتبة عارف حكمت، رقم 3840. راجع **الخمرة المحسية**، في نفس المجموع للمدينة المنورة الخاص بالبكري الصديقي، fol. 13r

34 انظر: كرم أمين ابو كرم، الشيخ مصطفى البكري، ابو ظبي، المجمع الثقافي، 2002 .

35 انظر: المرادي ، **سلك الدرر**، حيث ورد في فقرات مختلفة انه حج اربع مرات، ج4، ص192- 194. تجدر الاشارة ان بروكلمان ربما لم يدقق في هذه المسالة فقد ذكر انه حج مرتين وقد توفي في القاهرة. انظر: بروكلمان: مصدر سابق; C. Brockelmann, GAL, S II, p. 348; S II, p. 477; C. Brockelmann, "al-Bakrī", in: *EI²* V. I, p. 966. وفق المرادي في **سلك الدرر** فانه يذكر سنوات الحج لديه في ج4، ص192-ص194، وهي 1717م؛ 1733م؛ 1737م؛ 1748م ومن ثم عاد الى مصر ومرض ودفن هناك. قارن: Ralf Elger, MusÔafa al-*Bakrī* ,p. 74-80.

36 البكري الصديقي، **الخمرة المحسية في الرحلة القدسية**، مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة، السعودية، رقم 3840؛ وهي التي سنستخدمها؛ احمد سامح الخالدي، **رحلات في ديار الشام**، يافا، 1946، نشر جزءا منها ولديه نسخة منها؛ ويذكر يوسف سدان نسخة اخرى للمخطوطة في مقالته بالفرنسية في جامعة استانبول:Sadan, J., "Le Tombeau de Moïse à Jéricho et à Damas",in: REI, (1981) p.95, Ar. 337 وهناك نسخة أخرى في مكتبة برلين، رقم 46، وكذلك في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية، رقم 1369.

37 انظر: البكري الصديقي، مخطوطة **الخمرة المحسية في الرحلة القدسية**، fol. 2r-2v.

38 انظر: النابلسي، عبد الغني النابلسي، **الحضرة الانسية في الرحلة القدسية**، بيروت، 1990. اما تاريخ الرحلة فكان عام 1690م، طبع جزء منها بمصر في مطبعة الاخلاص عام 1902، تحت عنوان"**رحلتي الى القدس**"، ونشر احسان النمر جزءا منها في نابلس عام 1972 تحت عنوان"**المختار من الحضرة الانسية في الرحلة القدسية**"، وفي عام 1918 نشر R. Graf في مدينة Saalfeld الالمانية جزءا منها.

وكذلك، احمد سامح الخالدي في **رحلات في ديار الشام**، يافا، 1946 نشر موجز الرحلة.

[39] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 8r.

[40] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 8v-9r. ومن المعلوم ان عائلة الدجاني والعلمي في بيت المقدس كانت لهما وظائف فيما يتعلق ببعض الاماكن المقدسة، انظر: Ze'evi, D., An Ottoman Century (Albany), 1996. اما عائلة العلمي فقد أشغل ابناؤها وظئف دينية وقضائية فيالقدس منذ القرن السابع عشر أما عائلة الدجاني فانظر: W. S. Khalidi, " al-'alami" in: *EI²* Leiden- London, 1960, p. 352 .

[41] هو محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي المقدسي، أغفلت المصادر سنة ولادته أجاز له عبد الغني النابلسي، قد كان واسع الثقافة في العلوم الدينية، اصطحبه البكري الصديقي لدى قدومه بيت المقدس لزيارة الاماكن المقدسة القريبة من القدس الشريف، زار دمشق عام 1717م ودرّس في جامعها وقد كان وفق نظرة معاصريه احد اعلام القدس، ذكرت المصادر انه كان صوفيا، وقد كانت له خلوة في القدس تدعى بخ بخ (ت. 1734م). انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص95، حسن عبد اللطيف الحسيني (ت.1809م)، **تراجم اهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري**، عمان، 1985، ص152- 158؛ ابن كنان، محمد بن كنان الصالحي، **يوميات شامية من** 1699- 1740، دمشق، 1994، ص271؛ محمد بن شرف الدين الخليلي، **تاريخ القدس والخليل**، لندن، 2004، مقدمة تحقيق محمد عدنان البخيت، نوفان رجا الحمود السوارية، ص3- ص62.

[42] مصطلح خلوة يدل على العزلة عند بعضهم وغير العزلة عند البعض الآخر، وهي الانس بالذكر والاشتغال بالفكر، راجع، عبد المنعم الحفني ، **معجم مصطلحات الصوفية**، بيروت، 1987، ص 92؛ ممدوح الزوبي، **معجم الصوفية**، بيروت، 2004، ص155-ص156؛ ابن عربي، **معجم مصطلحات الصوفية**، بيروت، 1990، ص68؛ قارن: **الخمرة المحسية**، fol. 11r; 21v.

[43] انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص192.

[44] انظر: البكري الصديقي، **الخمرة المحسية**، fol. 21v

[45] راجع ترمنجهام بالنسبة للطرق الصوفية في القدس عامة Trimingham, J. S., *The Sufi Orders in Islam,*p.16 60; 186. Bosworth. C. E.,-"Rifa'yya", *EI²* 8 Leiden (1995), pp. 525 -526.

[46] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 21v-22r.

[47] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 31v-fol. 32v.

[48] لقد صدرت كراسة ماجستير في جامعة النجاح في نابلس، 1999. حققها ابراهيم ربايعة لكن الدراسة ليست عميقة او علمية حول المخطوطة.

[49] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 30v

[50] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 25v-fol. 32v

[51] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 34v

[52] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 22r يذكر "وفي كل ليلة نذهب الى محل مختص بالزيارة لاجل احياء تلك الليلة بانفس طهارة".

[53] انظر: Sadan, J., "Le Tombeau de Moïse à Jéricho et à Damas",in: *REI*, IXL pp. 96; Canaan, T., *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, Jerusalem, 1927,pp.117-193. قارن: العسلي، كامل جميل العسلي، **موسم النبي موسى في فلسطين: تاريخ الموسم والمقام**، عمان، 1990، ص75- 100؛ **الخمرة المحسية**، fol.9v.

[54] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 13r, 20v, 22v.

[55] انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 11r; 12r.

[56] مخطوطة عارف حكمت، المدينة المنورة، رقم 3840، وهي من نفس المجموع الذي حصلنا عليه.

[57] انظر: **الخطرات الثانية الانسية**، نفس مجموع المدينة المنورة fol. 36v. اما عرب الصقر فكانوا مقيمين في منطقة الغور، وكانوا على خلاف ونزاع دائم مع عرب التركمان في القرن السابع عشر، انظر: علياء الخطيب، **عرب التركمان: ابناء مرج ابن عامر**، عمان، 1987، ج1، ص21-25. حول قطاع الطرق انظر المخطوطة fol41r. . وقد ورد موضوع قطاع الطرق في مخطوطة الخمرة المحسية للبكري، fol. 6v; 18r; 18v -. Rafeq, A. K., The Province of Damascus1723-1783, pp.21-59 -52;23.

[58] نظن انها المدرسة الرصاصية راجع: كامل جميل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، عمان، 1981، ص324. انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 38r.

[59] الخطرات الثانية، fol. 39v; 40v.

[60] الخطرات الثانية، fol. 39r; 41v; 49v .

[61] الخطرات الثانية، fol. 39r; 41v;47v.

[62] **الخطرات الثانية**، fol. 38v; 39r. وفق بروكلمان في تاريخ الادب العربي بالالمانية لم يذكر انه تعرف على الوزير في عام 1714م وانما عام 1717م ، وكذلك في دائرة

المعارف الاسلامية يذكر عام 1710م يشير انه تعرف على الوزير راغب باشا ونظن انه رجب باشا حيث اصطحب الوزير البكري الصديقي في زيارته الى مصر عام 1717م قارن: Zambaur, de. E., *Manuel de genealogie pour l'histoire de l'Islam,* Hannovre, 1927, p.167; Ralf Elger, *MusÔafa al-Bakri ,p.*40. قارن: الدمرداشي، الدرة المنصانة، 134- 142.

63 مؤلف مجهول (**مخطوطة**)، **كِتاب تاريخ القدس والخَلِيل عَلَيْهِ السّلام** وقد اشرنا في ملاحظة سابقة ان المخطوطة قد صدرت بتحقيق البخيت ونوفان Oxford, Bodl. Clark 33.نشير ايضا ان الوالي رجب باشا المذكور توفي (1131 / 1719)، عدنان البخيت في مقدمة تحقيقه لتاريخ القدس والخليل عليه السلام، لندن، 2004 يذكر وفق سجل شرعي لمحكمة القدس رقم 209 القسم الاول من الملاحظات انه توفي عام 1726. وقد ولي دمشق بين 1718م– 1719م، انظر: محمد مطيع الحافظ، **علماء دمشق واعيانها في القرن الثاني عشر الهجري**؛ ج1، ص407؛ قال في ولاة دمشق: "تولي دمشق في 13 ربيع الاول 1130 هـ حج بالركب الشامي سنة 1130هـ ، وكان القاضي بدمشق علي افندي اوليا زاده، وتولي مكانه عثمان باشا ابو طوق في 23 جمادي للمرة الثانية". انظر: **ولاة دمشق في العهد العثماني**، دمشق، 1949،ص57، قام بنشره صلاح الدين المنجد. ورد ايضا ذكره لدى ابن كنان، في مقدمة **المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، دمشق، 1992،ج1: ص56 - ص62.

64 انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 41r; 44r. قارن: الجبرتي، **عجائب الاثار**، ج1، ص124.

65 انظر **: الخطرات الثانية**، fol. 48v

66 انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 47v.

67 انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 52r.

68 انظر المخطوطة fol. 52r.

69 انظر: **الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية**، fol. 52r.

70 هو عبد القادر الجيلاني او الكيلاني او الجيلي مؤسس الطريقة القادرية، يعتبر من كبار الزهاد والمتصوفين (ت. 1166م). انظر: الزركلي، **الاعلام**، ج4،ص47. Margoliouth D.S. "Qadiriyya", *EI²* IV Leiden, (1997), pp. 380-384.

71 انظر: **الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية** fol. 52v. (نفس مجموع المدينة المنورة) قارن: المرادي، **سلك الدرر**،ج4،ص 191، وكذلك تاريخ الادب العربي بالالمانية مصدر سابق.

72 انظر: **الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية**، fol. 92r-102r.

73 انظر: **الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية**، fol. 102r-132v.

74 انظر: Ralf Elger,MusÔafa al-*Bakri*, pp.81-84.

75 C. Brockelmann, "al-Bakri", in: *EI²* I p. 966.

76 هو محمد بن الشيخ محمد الشهير بالتافلاتي، سكن القدس، وكان يدرس الحديث الشريف والتفسير بالحرم القدسي داخل قبة الصخرة المشرفة، ذهب الى استانبول وعاد الى القدس وتولى افتاء الحنفية في القدس وكانت وفاته سنة 1192هـ/ 1778م. انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4،ص 102-ص108؛ حسن عبد اللطيف الحسيني (ت.1809م)، **تراجم اهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري**، عمان، 1985، ص276- 285.

77 De Jong يشير ان البكري عين خليفة واحدا بعده وهذا الامر ليس صحيحا فيما ورد في ترجمات البكري لدى المؤلفين مثل المرادي ج4، ص193. انظر: F. De Jong., "Mustafa Kamal al-Din al-Bakri (1688-1749): revival and reform of the Khalwatiyya tradition", in: Levtzion n. and Voll John O., (ed) *Eighteenth Cenyury renewal and reform in Islam*, Syracus (1987), p.119..

78 المرادي، سلك الدرر، ج4، ص194؛ الجبرتي، عجائب الاثار، ج1، ص299-ص300.

79 ابن كنان، **المواكب الاسلامية**، ج1، ص168، حيث ولي دمشق مرتين المرة الاولى عام 1146هـ/ 1733م والمرة الثانية عام 1150هـ/ 1737.

80 انظر: احسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، استانبول، 1999، ص212، قارن: M. Zilfi, *The Politicsof Piety: The Ottoman Ulema in the Post-Classical Age (1600-1800)*, Minneapolis, 1988, pp. 49-70; ibid, "The Kadizadelis Discordant", in: *JNES* 45 (1988), pp. 251- 263.

ملتقيات

"مستقبل المتاحف المغربية في أفق إحداث المؤسسة الوطنية للمتاحف"
(المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الجمعة 02 أكتوبر 2009)
تـــــوصــــيـــــات



على إثر تنظيم اليوم الدراسي حول "مستقبل المتاحف المغربية في أفق إحداث المؤسسة الوطنية للمتاحف" من قبل جمعية خريجي المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، بتنسيق مع جمعية المبادرة للتنمية الثقافية وإنعاش التراث بالعرائش، وبدعم من وزارة الثقافة، مديرية التراث الثقافي، والمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، وذلك بمقر هذه الأخيرة، يوم الجمعة 02 أكتوبر 2009 وبحضور ممثلين عن مؤسسات حكومية وعن مجلس النواب ومنظمات وطنية ودولية والصحافة الوطنية،

وبعد الاستماع لكلمة السيد وزير الثقافة التي تلاها نيابة عنه السيد مدير التراث الثقافي والتي ركز فيها على غنى وتنوع مكونات التراث المغربي وعلى مسؤولية الجميع في حفظه وصيانته وإيصاله للأجيال القادمة في صورته الأصيلة، مع العمل على دمج هذا التراث في التنمية المستديمة،

وعقب المناقشات المستفيضة التي تلت مختلف المداخلات المبرمجة خلال هذا اليوم الدراسي الهام، وبعد تثمين العناية الملكية السامية بتراثنا الحضاري المتوحد في تعدده،

أصدر المشاركون توصيات تهم موضوع اليوم الدراسي يمكن عرضها من خلال ثلاث محاور أساسية:

<u>المحور الأول</u>: حول مشروع قانون إحداث "المؤسسة الوطنية للمتاحف":

- تسجيل غياب مرجعية قانونية في صياغة مشروع قانون 09-01 بإحداث المؤسسة الوطنية للمتاحف وتناقض هذا المشروع مع القوانين الوطنية والدولية،

- استغراب الطابع الاستعجالي والسري الذي طبع إعداد مشروع القانون مع إقصاء تام لممثلي محافظي المتاحف وتجاهل واضح لاقتراحات تعديلية تقدمت بها وزارة الثقافة،
- وجوب أن يدخل مشروع إحداث أية مؤسسة (l'Institution) في إطار مقاربة شمولية للتراث الثقافي (المادي واللامادي) لا تعتمد تجزيئا أو فصلا بين مكوناته، ومن ثمة المطالبة بإحداث وكالة وطنية للتراث الثقافي،
- وجوب إعادة صياغة القانون المقترح وفق منظور يؤكد على مبدإ الخدمة العمومية لأية مؤسسة، وضرورة إضفاء الصبغة العمومية عليها، وإخضاعها لوصاية الدولة المباشرة، على اعتبار أن الأمر يتعلق بقطاع سيادي بامتياز لا يقبل التفويت ولا الخوصصة ولا التدبير المفوض،
- إعتماد بيان جمعية خريجي المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث الصادر بتاريخ 24 يناير 2009 حول الموضوع لبلورة القانون الأساسي للمؤسسة المزمع إنشاؤها،
- ضرورة إعتماد القوانين الوطنية والمواثيق الدولية كمرجعية قانونية في صياغة أي قانون مقترح لإحداث أية مؤسسة تعنى بتدبير القطاع المتحفي والتراثي بالمغرب.

<u>المحور الثاني</u>: حول الإجراءات الإستعجالية:
- مطالبة السيد وزير الثقافة بالتدخل باستعجال من أجل إعادة النظر في مشروع القانون المقترح حول "مؤسسة المتاحف" لما يضمه من نواقص و خروقات للقوانين و التشريعات المرتبطة بالحفاظ على التراث،
- دعوة وزارة الثقافة إلى تنظيم حوار وطني حول التراث، بمشاركة مجموع القطاعات و الفعاليات المعنية لمعالجة مختلف إشكاليات التدبير والصيانة ورد الإعتبار المطروحة في هذا المجال،
- ضرورة سن سياسة ثقافية عامة للبلاد ووضع استراتيجية خاصة بقطاع التراث مع توفير الإمكانيات اللازمة للنهوض به،
- وضع مخطط استعجالي للنهوض بالقطاع المتحفي : إنجاز جرود مفصلة، ترميم وصيانة المباني والتحف وتفعيل التنشيط الثقافي بداخل المؤسسات المتحفية.

- <u>المحور الثالث</u>: حول تدبير المتاحف:
- وجوب إحداث قانون أساسي للمتاحف يهم تنظيم المتاحف وتدبير المجموعات المتحفية والموارد البشرية،
- إعادة صياغة القانون المنظم للصندوق الوطني للعمل الثقافي بشكل يضمن توجيه مداخيله لتدبير وصيانة المباني التاريخية والمواقع الأثرية والمتاحف وتمكينها من العمل ضمن بعد ثقافي اقتصادي يسمح لها بتنويع مداخيلها،
- تعزيز التكوين والتكوين المستمر في مجال التحافة والتنسيق مع المؤسسات المعنية في هذا الميدان،
- العناية بوضعية محافظي المتاحف والعاملين بهذه الأخيرة وتمكينهم من مستلزمات العمل،
- إعادة النظر في عملية العرض المتحفي وفي بنايات المتاحف،
- تمكين المتاحف من لعب دورها الثقافي والتربوي والاجتماعي والحضاري وفق منظور شمولي.

حرر بالربـــاط يوم الجمعة 02 أكتوبر 2009م

صور أخرى من اليوم الدراسي









الجمعية المغربية للبحث التاريخي
الأيام الوطنية السابعة عشرة
الرباط - أكتوبر 2009
الدين والدولة والمجتمع
(ورقة تقديمية)



يمثل الدين والدولة والمجتمع ثلاثة مستويات من التنظيم البشري في أبعاده الاجتماعية والسياسية والروحية. وهذه المستويات متداخلة متشابكة تربط بينها في الغالب عناصر التبعية، أي أن بعضها يتحكم في البعض الآخر طبقا لعدة ظرفيات اجتماعية وثقافية مختلفة ومتنوعة بتنوع العمران الإنساني والمجال الجغرافي والثقافات والمؤثرات التاريخية العامة.

لقد عرفت المجتمعات البشرية محطات من تاريخها كانت فيه بعض الديانات في موقع المضطهَد من قبل الدولة القائمة (المسيحية عند مبتدإ أمرها أو الموريسكيون واليهود في إسبانيا المسيحية) كما أنها عرفت، في محطات أخرى، دولا قامت على دين بعينه فاضطهدت الديانات الأخرى أو التيارات اللادينية. وإذا كان الدين قد سيطر بصفة أو بأخرى على الدولة في مجتمعات حوض البحر الأبيض المتوسط وفي العالم الغربي إلى حدود القرن الثامن عشر، فإن الثورات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شهدها الغرب بما فيه أمريكا ما فتئت تقوي تمايز الدولة عن الدين حتى قامت دول لائيكية تفصل مجالات الدولة ومجالات الدين بكيفية واضحة، كما هو الشأن بفرنسا والولايات المتحدة وتركيا. ومن ناحية أخرى، ما فتئ التوجه العلماني يتقوى في المجتمعات الغربية، وخارجها بالتبعية. وقد كان القرن العشرون قرن العلمانية بامتياز. إلا أن سقوط حائط برلين، وتراجع الإيديولوجيات الاجتماعية العلمانية، أعطى دفعة جديدة للحركات الدينية التي باتت تطرح نفسها بديلا ثالثا عن التيارات الليبرالية والاشتراكية.

إن المجتمعات ذات الدولة الدينية تنظر إلى نفسها كمجالات مؤطِّرة ومؤطَّرة أخلاقيا، وهي قيّمة على مشروع حضاري وتربوي تسعى في الغالب إلى نشره، أو على الأقل إلى المحافظة عليه. ومن المعتاد أن ينظر إلى هذه المجتمعات أو الدول المتديّنة من خلال زاويتين: الأولى الانتماء إلى نفس الأصول كالديانات السماوية مثلا، والثانية التعدد في المشارب كالديانات الطبيعانية والفلسفية وغيرها. ومن خلال ذلك يصبح لبعضها حضور وتأثير أكبر من غيرها بحسب الأحداث والمتغيرات التي يشهدها العالم. كما أن الانتماء إلى

إحداها يؤثر بشكل مباشر على المواقف والتصرفات. وهو ما قد ينشأ عنه نزاع أو تحالف، خاصة وأن الشعور بالانتماء إلى المجال الديني في إطار العمران الإنساني وتحت المظلة السياسية يعطي شعورا بالانتماء إلى هوية وذات معينة.

والغالب على الديانات أنها تدعي احتكار الحقيقة، وارتباط المجتمعات بها على هذا الأساس يمكنها من قوة كبيرة، في تناقض مع الآخر بالضرورة، بحكم أن جميع الديانات تمتلك نفس الادعاء. واعتقاد الدول في هذا الوضع أو قيامها عليه يشكل قوة أخرى للدين كما للمجتمع الذي يحمله.

وفي وقتنا الحالي كما هو الشأن على مر التاريخ شكلت هذه المقومات الثلاث: الدين والدولة والمجتمع، العناصر المحركة للصيرورة الإنسانية. كما أنها شكلت دائما محطة جدل بين الانتماءات والمتناقضات، بحكم أنها تشكل وتمثل في نفس الوقت أسس الصراع الإنساني وهدفه.

ومن خلال هذه الورقة التقديمية للأيام الوطنية السابعة عشرة، تهدف الجمعية المغربية للبحث التاريخي إلى طرح قضايا آنية وتاريخية وقضايا ترتبط بالتحقيبات التقليدية أو تتجاوزها، وذلك بالنظر في قضايا اصطلاحية ومنهجية، تستدعي الجرأة في التناول وتعدد الاختصاصات وربط الحاضر بالماضي. ولسبر هذا الموضوع نقترح، على سبيل المثال لا الحصر، المحاور التالية:

الدين والدولة والمجتمع: قضايا منهجية (المصطلح، التجارب العالمية...)

- الديني والسياسي في المجالات الإسلامية
- الديانات السماوية وبناء الدول عبر التاريخ
- الديانات السماوية وبناء الدول المعاصرة
- من الدولة الدينية إلى الدولة اللائيكة
- الدين وصراع الحضارات
- التطرف الديني بين المجتمع والدولة
- الدين والثقافة
- الدين والاقتصاد.



إصدارات



مجلة التراث المغربي .
مجلة جمعية خرجي المعهد الوطني لعلوم الاثار والتراث
عدد ٢ أبريل ٢٠٠٩ .
مدير النشر : الاستاذ عبد اللطيف البودجاي
رئيس التحرير : مصطفى أروقا
ساهم في هذا العدد :
- عبد الاحد الرايس
- عزوز بوجميد
- محسن الادريسي العمري
- طارق مدني
- سمير قفص
- حسن الشرادي
- محمد زعيم
- منير أقصبي
تصميم : map-concepts .



الكتاب : في التاريخ الروماني - نشأة الجمهورية -
الكاتب : الاستاذ أحمد سراج
دار النشر : إفريقيا الشرق - المغرب - ٢٠٠١ .

يسعى هذا الكتاب إلى تقديم بعض جوانب الحضارة التي انطلقت من شبه الجزيرة الايطالية خلال القرن الثامن قبل الميلاد ، وانتشرت على ضفاف الحوض المتوسطي مؤثر بذلك في مجريات تاريخه للجمهور العريض من القراء العرب وهو يتناول بالدراسة نشأة الملكية في قسم أول . ثم نشأة الجمهورية ومؤسساتها في قسم ثان .

العثور على مدفن اثري يعود للفترة الرومانية في سوريا



دمشق: عثر عمال اثناء حفرهم لخطوط شبكة الصرف الصحي الاربعاء في قرية قرب مدينة حماه (وسط) على مدفن اثري يعود الى الفترة الرومانية. وقال رئيس دائرة اثار حماه جمال رمضان ان بعثة وطنية طارئة شكلت للبدء بأعمال التنقيب والكشف للموقع عقب ظهور ثغرة جراء أعمال حفر لخطوط شبكة الصرف الصحي في أحد الشوارع وسط قرية معرين الجبل، جنوب شرق حماه، واسفر التنقيب "عن الكشف عن مدفن قديم". واشار رمضان الى ان المدفن "مبنى من الحجارة الكلسية وهو على ارتفاع 3 م و5.2 م وسقفه على شكل قبوة نصف دائرية بعمق نصف متر عن سطح الارض ويحوي ستة قبور موزعة على ثلاث جهات". واضاف انه تم العثور على " 45 سراجا فخاريا اضافة الى مجموعة أوان زجاجية تتميز بالدقة اللامتناهية حيث لا تتجاوز سماكتها 1 مم وبعض القطع المصنوعة من البرونز والحديد" ولفت رمضان الى ان "الدراسات أثبتت أن المدفن يعود للفترة الرومانية وأعيد استخدامه في الفترة البيزنطية". بدوره أشار عبد الله بصل مدير البعثة الوطنية الاثرية للمدفن الى "تعرض المدفن للنهب والتخريب في فترات قديمة بدليل العثور على أجزاء من جرار مكسورة بجانب المدخل" واضاف "ان هذا المدفن فريد من نوعه كونه مبنيا من الحجارة الكلسية وسقفه عبارة عن قبوة نصف دائرية ومن النادر اكتشاف مدفن مبني بهذه المواصفات حيث أن معظم المدافن الاثرية المكتشفة تكون محفورة بالصخر". واشار الى "ان اهم ما يميز المدفن وجود كتابات يونانية باللون الاسود فوق القبرين الشرقيين فيه".

موقع إيلاف : 25 نوفمبر 2009

اكتشاف مدينة تحت سطح الأرض تعود إلى

اكتشف علماء أثار من إيطاليا مدينة تحت سطح الأرض تعود إلى العصر الرومانى، على ساحل برقة الشرقى فى ليبيا وتقع تلك المدينة بين مدينتى درنة وبومبا، بالقرب من طبرق.

وجاء هذا الاكتشاف من قبل علماء أثار من إيطاليا وخبراء تقنيين من منطقة "سى سوبرنتيندانس" بصقلية وجامعة "سيور أورسولا بنينكاسا" فى نابولى تحت إشراف سيباستيانو توسا.

وتقوم المجموعة بعمليات تنقيب أثرية على طول الساحل الأفريقى كجزء من مشروع أركوليبيا (الأثار الساحلية بليبيا) الذى بدأ منذ بضع سنوات والذى أسفر عن اكتشافات رائعة مثل سفينة البندقية "تيجرى" التى غرقت قبالة رأس الهلال. وبدأ اكتشاف آثار هذه المدينة خلال غوص استطلاعى فى مياه رأس التين.



وكان العلماء ينقبون عن حطام السفن وهياكل الميناء على الحافة الغربية لخليج بومبا، وعثروا على جدران وطرق ومبان وقبور على عمق يتراوح بين واحد وثلاثة أمتار.

موقع اليوم السابع : 6 دجنبر 2009

متحف الشمع في الهند

في هذا العدد من مجلة المؤرخ نقدم مجموعة من الصور , لمتحف الشمع بالهند .. مجموعة منوعة من الاشكال الحياتية التي تم اعدادها بمهنية تامة والتي تأخر لحياة الهنود اليومية ..









